السماحة عقيدة وسلوكا

والاصطفاف الوطني واجب الوقت

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

ابن شهوان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

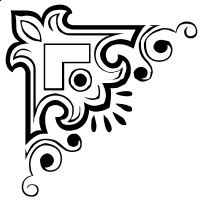
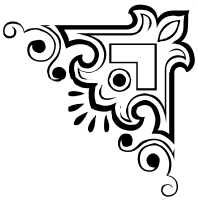

الْإِسْلَامُ دِينُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ

فَإِنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ دِينُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ كُلِّهِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ -فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»(١) مِنْ طَرِيقِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَرْفَعُهُ-: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ**»؛ أَيْ: دِينُ الْإِسْلَامِ ذُو يُسْرٍ، مَوْصُوفٌ بِالْيُسْرِ وَصَاحِبُ يُسْرٍ.

أَوْ سُمِّيَ الدِّينُ يُسْرًا، فَهُوَ يُسْرٌ كُلُّهُ؛ مُبَالَغَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ الْأَدْيَانِ قَبْلَهُ؛ لِأَنَّ اللهَ رَفَعَ عَنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْإِصْرَ الَّذِي كَانَ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَهُمْ.

وَمِنْ أَوْضَحِ الْأَمْثِلَةِ: أَنَّ تَوْبَةَ السَّابِقِينَ مِنَ الْأُمَمِ قَبْلَنَا كَانَتْ بِقَتْلِ أَنْفُسِهِمْ، وَتَوْبَةُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْإِقْلَاعِ وَالْعَزْمِ وَالنَّدَمِ، وَلَمْ يَفْرِضْ عَلَيْنَا رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنْ نَقْتُلَ أَنْفُسَنَا؛ بَلْ حَظَرَ عَلَيْنَا وَمَنَعَنَا أَنْ يَفْعَلَ أَحَدٌ مِنَّا ذَلِكَ.

الْأَفْضَلُ الْأَرْفَقُ فِي شَرِيعَةِ الْيُسْرِ وَالسَّمَاحَةِ، شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّتِي لَا يَقْدُرُهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْرَهَا، وَوَاللهِ مَا مِنْ سَعَادَةٍ كَانَتْ وَلَا تَكُونُ إِلَّا فِي

(١) «صحيح الْبُخَارِيِّ» (رَقْم ٣٩).

اتِّبَاعِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ ﷺ.(*).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي خِتَامِ آيَاتِ الصِّيَامِ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ لِأَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ دِينُ الْيُسْرِ وَرَفْعِ الْحَرَجِ وَالْمَشَقَّةِ، وَالْآيَةُ تَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَىٰ أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- لَا يَطْلُبُ مِنْ عِبَادِهِ إِلَّا مَا يُطِيقُونَهُ وَيَسْتَطِيعُونَهُ مِمَّا هُوَ يَسِيرٌ عَلَيْهِمْ غَيْرُ شَاقٍّ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ﴾ [الحج: ٧٨].

«فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- لَا يُكَلِّفُ عِبَادَهُ إِلَّا مَا يُطِيقُونَ، وَلَا يُلْزِمُهُمْ بِشَيْءٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا.

صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكَ سِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَمَا جَعَلَ اللهُ فِيهِ مِنَ التَّوْبَةِ وَالْكَفَّارَاتِ»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ» -بَابُ الْجَمْعِ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ فِي السَّفَرِ- الْخَمِيسُ ٢٠ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣١هـ| ٤-٢-٢٠١٠م.

(٢) أخرجه ابن وهب في تفسير القرآن من «**الجامع**»: (١/ ١٥-١٦، رقم ٢٩) و(٢/ ٩٦، رقم ١٨٣)، ويحيىٰ بن سلام في «**التفسير**»: (١/ ٣٩٠)، والطبري في «**جامع البيان**»: (١٦/ ٦٤٠-٦٤١ و٦٤٣-٦٤٤)، وابن أبي حاتم في «**التفسير**»: (٤/ ١٣٨٥، رقم

فَلَيْسَ هُنَاكَ ضِيقٌ إِلَّا وَمِنْهُ مَخْرَجٌ وَمَخْلَصٌ، فَمِنْهُ مَا يَكُونُ بِالتَّوْبَةِ، وَمِنْهُ مَا يَكُونُ بِرَدِّ الْمَظَالِمِ، فَلَيْسَ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَىٰ الْخَلَاصِ مِنْ عُقُوبَتِهِ.

وَلَقَدْ كَانَتِ الشَّدَائِدُ وَالْعَزَائِمُ فِي الْأُمَمِ، فَأَعْطَىٰ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ مِنَ الْمُسَامَحَةِ وَاللِّينِ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا قَبْلَهَا؛ رَحْمَةً مِنْه[1] -تَعَالَىٰ- وَفَضْلًا، فَأَعْظَمُ حَرَجٍ رُفِعَ: الْمُؤَاخَذَةُ بِمَا تُبْدِي أَنْفُسُنَا وَمَا تُخْفِيهِ، وَمَا يَقْتَرِنُ بِهِ مِنْ إِصْرٍ وُضِعَ عَنَّا، وَتَوْبَتُنَا تَكُونُ بِالنَّدَمِ، وَالْعَزْمِ عَلَىٰ تَرْكِ الْعَوْدِ، وَالِاسْتِغْفَارِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَرَدِّ الْمَظَالِمِ إِلَىٰ أَصْحَابِهَا، أَمَّا مَنْ قَبْلَنَا؛ فَقَدْ قِيلَ لَهُمْ: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: ٥٤].

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ[2]: «وَلَوْ ذَهَبْتُ إِلَىٰ تَعْدِيدِ نِعَمِ اللهِ فِي رَفْعِ الْحَرَجِ لَطَالَ الْمَرَامُ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو بَكْرٍ الْجَصَّاصُ[3]: «وَلَمَّا كَانَ الْحَرَجُ هُوَ الضِّيقَ، وَنَفَىٰ اللهُ عَنْ نَفْسِهِ إِرَادَةَ الْحَرَجِ بِنَا؛ سَاغَ الِاسْتِدْلَالُ بِظَاهِرِهِ فِي نَفْيِ الضِّيقِ وَإِثْبَاتِ التَّوْسِعَةِ، فَيَكُونُ الْقَائِلُ بِمَا يُوجِبُ الْحَرَجَ وَالضِّيقَ مَحْجُوجًا بِظَاهِرِ هَذِهِ الْآيَةِ».

=

٧٨٧٦)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤٣/ ٥١)، بإسناد صحيح.

(١) في الأصل: [من الله].

(٢) «أحكام القرآن»: (٣/ ٣٠٩).

(٣) «أحكام القرآن»: (٢/ ٣٣).

«وَذَلِكَ عَامٌّ مُضْطَرِدٌ؛ لِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَمْ يَشْرَعْ حُكْمًا إِلَّا وَأَوْسَعَ الطَّرِيقَ إِلَيْهِ وَيَسَّرَهُ؛ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ دُونَهُ حَرَجٌ وَلَا عُسْرٌ(١)»(٢).

وَقَدْ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ**﴾ [الأعلىٰ: ٨].

وَقَالَ -سُبْحَانَهُ-: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا**﴾ [النساء: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا**﴾ [الطلاق: ٧].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِي الْأَعْرَافِ: ﴿**لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ**﴾ [الأعراف: ٤٢].

إِنَّ مَبْنَىٰ الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ السَّمَاحَةِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَيُّ الْأَدْيَانِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟

---

(١) «الإشارات الإلهية» للطوفي الحنبلي (ص٢١٠).

(٢) «رفع الحرج في الشريعة الإسلامية»: (ص٦٠-٦١).

قَالَ: «**الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ**»(١). وَهَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ، وَالبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ المُفْرَدِ».

وَالْحَدِيثُ نَصٌّ فِي أَنَّ الْإِسْلَامَ حَنِيفِيَّةٌ سَمْحَةٌ.

إِنَّ مَدَارَ الشَّرِيعَةِ عَلَىٰ نَفْيِ الْحَرَجِ وَإِثْبَاتِ التَّيْسِيرِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ**﴾ [الحج: ٧٨].

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ»(٢) بِسَنَدِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ، وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**».

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ؛ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٦)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٨٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٦٠).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٩٣، رقم (٣٩).

(٣) «**صحيح مسلم**»: ٣/ ١٣٥٨، رقم (١٧٣٢).

وَعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ؛ قَالَ: «**يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

لَقَدْ بَعَثَ اللهُ -تَعَالَىٰ- رَسُولَهُ ﷺ بِنَبْذِ الْغُلُوِّ وَالتَّنَطُّعِ وَالتَّطَرُّفِ؛ لِأَنَّ اللهَ جَعَلَ هَذِهِ الْأُمَّةَ أُمَّةً وَسَطًا بَيْنَ الْأُمَمِ؛ فِي عَقِيدَتِهَا، وَعِبَادَتِهَا، وَأَخْلَاقِهَا، وَمُعَامَلَاتِهَا، وَالْوَسَطُ: الْعَدْلُ الْخِيَارُ، فَلَا إِفْرَاطَ وَلَا تَفْرِيطَ، وَلَا غُلُوَّ وَلَا جَفَاءَ.

وَقَدْ عَابَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ مَنْ قَبْلَنَا الْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ**﴾ [المائدة: ٧٧].

وَبَعَثَ اللهُ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا ﷺ بِرَفْعِ الْآصَارِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَنَا.. بَعَثَهُ ﷺ بِشَرِيعَةٍ سَمْحَةٍ:

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ١٦٣، رقم (٣٠٣٨) وفي مواضع، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٥٢٤، رقم (٦١٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٤).

وفي رواية للبخاري: ١/ ١٦٣، رقم (٦٩)، بلفظ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**».

* **مِنْ قَوَاعِدِهَا: رَفْعُ الْحَرَجِ.**

* **وَمِنْ قَوَاعِدِهَا:** أَنَّ الْمَشَقَّةَ تَجْلِبُ التَّيْسِيرَ.

* **وَمِنْ قَوَاعِدِهَا:** لَا وَاجِبَ بِلَا اقْتِدَارٍ، وَلَا مُحَرَّمَ مَعَ اضْطِرَارٍ.

* **وَمِنْ قَوَاعِدِهَا:** أَنَّ الضَّرَرَ يُزَالُ، فَلَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ.

«وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ»(١). كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم فِي بَعْضِ أَمْرِهِ؛ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**»(٢). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.(*).

لَقَدْ بُنِيَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ السَّامِيَةُ السَّمْحَاءُ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ، وَإِرْضَاءِ النُّفُوسِ بِطَيِّبَاتِ الْحَيَاةِ وَمَلَاذِّهَا الْمُبَاحَةِ لَهَا، وَتَكْرَهُ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ التَّعَنُّتَ وَالشِّدَّةَ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٦/ ٥٦٦، رقم ٣٥٦٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨١٣ - ١٨١٤، رقم ٢٣٢٧)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٥٢٤، رقم (٦١٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٤).

وفي رواية للبخاري: ١/ ١٦٣، رقم (٦٩)، بلفظ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: السَّمَاحَةُ وَالتَّيْسِيرُ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤٠هـ|٢٨-٦-٢٠١٩م.

وَالْمَشَقَّةَ عَلَىٰ النَّفْسِ، وَتَكْرَهُ حِرْمَانَ النَّفْسِ مِنْ خَيْرَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَبَاحَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَشَرِيعَةُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ الْغُلُوِّ وَالْجَفَاءِ، وَالِانْهِمَاكِ فِي الْعِبَادَةِ انْقِطَاعًا، وَالْغَفْلَةِ وَاللَّهْوِ؛ فَهِيَ تَضَعُ الْأُمُورَ فِي مَوَاضِعِهَا.

عِبَادَةٌ للهِ وَطَاعَةٌ للهِ، مَعَ إِعْطَاءِ النَّفْسِ حُظُوظَهَا مِنَ الْمُبَاحَاتِ الْمُعِينَةِ عَلَىٰ اسْتِمْرَارِ الْعِبَادَةِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اكْلَفُوا مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّفَرُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَحْمِلُهُمْ حُبُّ الْخَيْرِ وَالرَّغْبَةُ فِيهِ إِلَىٰ أَبْيَاتِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِكَيْ يَسْأَلُوا عَنْ عَمَلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي السِّرِّ الَّذِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَىٰ أَزْوَاجِهِ، فَلَمَّا أَعْلَمْنَهُمْ بِذَلِكَ الْعَمَلِ -الَّذِي يَكُونُ فِي بُيُوتِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْأَصْحَابُ-، لَمَّا أَعْلَمْنَهُمْ بِهِ اسْتَقَلُّوهُ، وَذَلِكَ مِنْ نَشَاطِهِمْ عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَمِنْ جَدِّهِمْ فِيهِ.

فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ؟! فَهُوَ ﷺ -فِي ظَنِّهِمْ- غَيْرُ مُحْتَاجٍ إِلَىٰ الِاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ،

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٢١٣، رقم ١٩٧٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٥٤٠-٥٤١، رقم ٧٨٢) و(٢/ ٨١١)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللهَ لَنْ يَمَلَّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا**».
وفي رواية للبخاري: (١١/ ٢٩٤، رقم ٦٤٦٥)، بلفظ: سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ؟ قَالَ: «**أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»، وَقَالَ: «**اكْلَفُوا مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ**».

فَعَوَّلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ النِّسَاءِ؛ لِيَتَفَرَّغَ لِلْعِبَادَةِ، وَعَوَّلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ تَرْكِ أَكْلِ اللَّحْمِ؛ زَهَادَةً فِي مَلَاذِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَصَمَّمَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ سَيَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ، تَهَجُّدًا أَوْ عِبَادَةً.

فَبَلَغَتْ مَقَالَتُهُمْ مَنْ هُوَ أَعْظَمُهُمْ تَقْوَىٰ، وَأَشَدُّهُمْ خَشْيَةً، وَأَكْثَرُهُمْ عِلْمًا، وَأَعْرَفُ مِنْهُمْ بِالْأَحْوَالِ وَالشَّرَائِعِ ﷺ.

فَخَطَبَ النَّاسَ، وَحَمِدَ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ الْوَعْظَ وَالْإِرْشَادَ عَامًّا؛ جَرْيًا عَلَىٰ عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ فِي مُعَالَجَةِ مَا يَسْتَجِدُّ مِنَ الْأَحْوَالِ.

فَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ يُعْطِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَيَعْبُدُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَتَنَاوَلُ مَلَاذَّ الْحَيَاةِ الْمُبَاحَةَ، فَهُوَ يَنَامُ وَيُصَلِّي، وَيَصُومُ وَيُفْطِرُ، وَيَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِهِ السَّامِيَةِ؛ فَلَيْسَ مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَإِنَّمَا سَلَكَ سَبِيلَ الْمُبْتَدِعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ عُمْدَةِ الْأَحْكَامِ - كِتَابُ النِّكَاحِ -» - الْأَرْبَعَاء ١٠ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣١هـ| ٢٤-٢-٢٠١٠م - مُحَاضَرَةُ ٦٤ و٦٥.

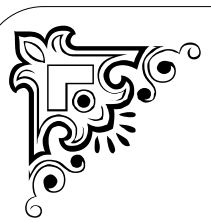

النَّبِيُّ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي السَّمَاحَةِ

لَقَدْ كَانَ إِمَامُ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ فِي «حُسْنِ الْخُلُقِ» عَلَىٰ الْقِمَّةِ الشَّامِخَةِ، وَفَوْقَ الْغَايَةِ وَالْمُنْتَهَىٰ، فَكَانَ كَمَا قَالَ عَنْهُ رَبُّهُ ﷻ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].(*).

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وَقَالَ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابِ «حُسْنُ الْخُلُقِ»، الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

(٢) أخرجه إبراهيم بن عبد الله بن عمر العبسي في «نسخة وكيع عن الأعمش»: (ص٨٨، رقم ٢٩)، والترمذي في «العلل الكبير»: (ص٣٦٩، رقم ٦٨٥)، والبزار في «المسند»: (١٦/ ١٢٢، رقم ٩٢٠٥)، وابن الأعرابي في «المعجم»: (٣/ ١١٣٦-١١٣٧، رقم ٢٤٥٢)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث»: (ص٣٣-٣٤، رقم ١٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط»: (٣/ ٢٢٣، رقم ٢٩٨١)، وفي «الصغير»: (١/ ١٦٨، رقم ٢٦٤)، وابن عدي في «الكامل»: (٧/ ٢٧، رقم ١٠٥٧٧)، والحاكم في «المستدرك»: (١/ ٣٥)، والبيهقي «دلائل النبوة»: (١/ ١٥٧-١٥٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ».

والحديث صححه لغيره الألباني في «الصحيحة»: (١/ ٨٨٢-٨٨٦، رقم ٤٩٠)، وانظر «العلل» للدارقطني: (٥/ ٧٣، مسألة ١٨٩٧).

=

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.(*).

عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه، أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؛ قَفَلَ مَعَهُ -أَيْ: رَجَعَ مَعَهُ-، فَأَدْرَكَتْهُمُ الْقَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ -وَالْعِضَاهُ: نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الشَّجَرِ-، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْعِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ تَحْتَ سَمُرَةٍ؛ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ.

قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْعُونَا، فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ**».

فَهَا هُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، **قَالَ**: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَهُ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً(٣)،

=

والحديث أصله في «صحيح مسلم»: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ: «إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «دَاعِشُ وَذَبْحُ الْأَقْبَاطِ الْمِصْرِيِّينَ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٦هـ| ٢٠-٢-٢٠١٥م.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٧/ ٤٢٦، رقم (٤١٣٤)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٧٨٦، رقم (٨٤٣).

(٣) وفي رواية البخاري: «...، **فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً**...»، وجبذ وجذب لغتان مشهورتان، والمراد: شده.

=

نَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ.

ثُمَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

جَبَذَهُ: جَذَبَهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **قَالَتْ**: «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شِيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ؛ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ فَيَنْتَقِمَ لِلهِ ﷻ». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا لَهُ وَلَا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٣). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

=

انظر: شرح النووي علىٰ «**صحيح مسلم**»: ٧/ ١٤٧.

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٢٥١، رقم (٣١٤٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٧٣٠، رقم (١٠٥٧).

وفي رواية لمسلم: «...، **ثُمَّ جَبَذَهُ إِلَيْهِ جَبْذَةً، رَجَعَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ فِي نَحْرِ الْأَعْرَابِيِّ**»، أي استقبل ﷺ نحره استقبالا تاما ولم يتأثر من سوء أدبه، وفي أخرىٰ: «...، **فَجَاذَبَهُ حَتَّىٰ انْشَقَّ الْبُرْدُ، وَحَتَّىٰ بَقِيَتْ حَاشِيَتُهُ فِي عُنُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**».

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٨١٤، رقم (٢٣٢٨)، والحديث أصله في «الصحيحين» بنحوه.

(٣) أخرجه الحاكم في «**المستدرك**»: ٢/ ٤١٤، رقم (٣٥٥٢).

=

وَعَن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه **قَالَ**: «كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ؛ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١). (*).

❀❀❀

=

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: ١/ ٨٠٩، رقم (٤٤٨).

وَالْحَدِيثُ أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٣٣٥، رقم (١٤٦٩) و١١/ ٣٠٣، رقم (٦٤٧٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٧٢٩، رقم (١٠٥٣)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا عِنْدَهُ قَالَ: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**».

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٥١٤، رقم (٣٤٧٧) و١٢/ ٢٨٢، رقم (٦٩٢٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ١٤١٧، رقم (١٧٩٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةٍ: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٣-٢٠١٧م.

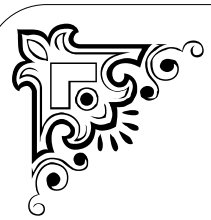

السَّمَاحَةُ فِي الْإِسْلَامِ مَنْهَجٌ وَحَيَاةٌ

السَّمَاحَةُ فِي الْإِسْلَامِ مَنْهَجٌ وَحَيَاةٌ، قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا تَوَافَرَتْ لَدَيْهَا شُرُوطُ التَّكْلِيفِ إِلَّا مَا يَكُونُ فِي إِمْكَانِهَا وَحُدُودِ اسْتِطَاعَتِهَا مِنْ غَيْرِ حَرَجٍ وَلَا ضِيقٍ؛ بِحَيْثُ لَا تَسْتَطِيعُ الْأَمْرَ إِلَّا بِمَشَقَّةٍ وَجَهْدٍ.

فَعَلَىٰ مِقْدَارِ الْهِبَةِ تَكُونُ دَرَجَةُ التَّكْلِيفِ وَالْمَسْؤُولِيَّةِ، وَتَتَفَاوَتُ دَرَجَاتُ مَسْؤُولِيَّاتِ الْمُكَلَّفِينَ بِحَسَبِ هِبَاتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُمْ؛ لِتَحْقِيقِ كَمَالِ الْعَدْلِ الرَّبَّانِيِّ.

وَقَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ التَّسْهِيلَ فِي جَمِيعِ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ، وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ.

وَقَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: السَّمَاحَةُ وَالتَّيْسِيرُ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤٠هـ| ٢٨-٦-٢٠١٩م.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ عَفُوٌّ يُحِبُّ الْعَفْوَ**، ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ [النور: ٢٢]»(١). قِطْعَةٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَحَسَّنَهُ بِشَوَاهِدِهِ الْأَلْبَانِيُّ كَمَا فِي «السِّلْسِلَةِ الصَّحِيحَةِ».

قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الشورى: ٤٠]، يَجْزِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا وَثَوَابًا كَثِيرًا.

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! كَمْ نَعْفُو عَنِ الْخَادِمِ؟ فَصَمَتَ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِ الْكَلَامَ فَصَمَتَ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ قَالَ: «**اعْفُ عَنْهُ** -يَعْنِي الْخَادِمَ- **فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً**»(٢). رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

---

(١) أخرجه أحمد: (١/ ٨ و٤١٩)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٩/ ٨٧-٨٨، رقم ٥١٥٥)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٩/ ١١٤-١١٥، رقم ٨٥٧٢)، والحاكم: (٤/ ٣٨٣، رقم ٨١٥٥)، والبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٨/ ٣٣٢).

والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ١٨١-١٨٢، رقم ١٦٣٨).

(٢) أخرجه أبو داود: (٤/ ٣٤١، رقم ٥١٦٤)، والترمذي: (٤/ ٣٣٦، رقم ١٩٤٩).

والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٨٨٠-٨٨١، رقم ٤٨٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ - الْأَرْبِعَاءُ ١٦ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ | ٦-٦-٢٠١٢م.

«وَهَذَا مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ بِهَا؛ فَقَالَ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾؛ أَيْ: إِذَا أَسَاءَ إِلَيْكَ أَعْدَاؤُكَ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ؛ فَلَا تُقَابِلْهُمْ بِالْإِسَاءَةِ، مَعَ أَنَّهُ يَجُوزُ مُعَاقَبَةُ الْمُسِيءِ بِمِثْلِ إِسَاءَتِهِ، وَلَكِنِ ادْفَعْ إِسَاءَتَهُمْ إِلَيْكَ بِالْإِحْسَانِ مِنْكَ إِلَيْهِمْ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ فَضْلٌ مِنْكَ عَلَىٰ الْمُسِيءِ.

وَمِنْ مَصَالِحِ ذَلِكَ: أَنَّهُ تَخِفُّ الْإِسَاءَةُ عَنْكَ فِي الْحَالِ وَفِي الِاسْتِقْبَالِ، وَأَنَّهُ أَدْعَىٰ لِجَلْبِ الْمُسِيءِ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَأَقْرَبُ إِلَىٰ نَدَمِهِ وَأَسَفِهِ، وَرُجُوعِهِ بِالتَّوْبَةِ عَمَّا فَعَلَ، وَيَتَّصِفُ الْعَافِي بِصِفَةِ الْإِحْسَانِ، وَيَقْهَرُ بِذَلِكَ عَدُوَّهُ الشَّيْطَانَ، وَيَسْتَوْجِبُ الثَّوَابَ مِنَ الرَّبِّ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾؛ أَيْ: وَمَا يُوَفَّقُ لِهَذَا الْخُلُقِ الْجَمِيلِ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤- ٣٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾؛ أَيْ: بِمَا يَقُولُونَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْمُتَضَمِّنَةِ لِلْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْحَقِّ، قَدْ أَحَاطَ عِلْمُنَا بِذَلِكَ، وَقَدْ حَلُمْنَا عَنْهُمْ، وَأَمْهَلْنَاهُمْ، وَصَبَرْنَا عَلَيْهِمْ، وَالْحَقُّ لَنَا، وَتَكْذِيبُهُمْ لَنَا، فَأَنْتَ -يَا مُحَمَّدُ- يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَصْبِرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ، وَتُقَابِلَهُمْ بِالْإِحْسَانِ، هَذِهِ وَظِيفَةُ الْعَبْدِ فِي مُقَابَلَةِ الْمُسِيءِ مِنَ الْبَشَرِ»(١). (*).

---

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٥٥٨-٥٥٩.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٣-٢٠١٧م.

إِنَّ الصَّفْحَ، وَالتَّسَامُحَ، وَالصَّبْرَ، وَالْوَفَاءَ، وَالْبَذْلَ.. كُلُّ أُولَئِكَ خِصَالٌ مَحْمُودَةٌ، وَشِيَاتٌ مَرْمُوقَةٌ، كُلُّ أُولَئِكَ غَايَاتٌ تَتَقَطَّعُ دُونَ بُلُوغِهَا الْأَعْنَاقُ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٢٨هـ| ٢٤-٨-٢٠٠٧م.

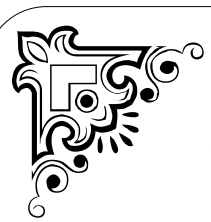

السَّمَاحَةُ فِي دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ السَّمَاحَةَ سُلُوكٌ نَبِيلٌ يَنْبَغِي أَنْ يُطَبِّقَهُ الْمُسْلِمُ فِي جَمِيعِ مَنَاحِي الْحَيَاةِ، وَمِنْ ذَلِكَ: السَّمَاحَةُ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، إِنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَشْرَفُ وَأَكْرَمُ مَقَامَاتِ التَّعَبُّدِ لِلهِ.

هِيَ أَكْرَمُ مَقَامٍ يَقُومُهُ عَبْدٌ لِرَبِّهِ؛ أَنْ يَكُونَ دَاعِيًا إِلَيْهِ، دَالًّا عَلَيْهِ، مُرْشِدًا إِلَىٰ صِرَاطِهِ، مُتَّبِعًا لِسَبِيلِ نَبِيِّهِ، مُقِيمًا عَلَىٰ ذَلِكَ، مُخْلِصًا فِيهِ، آتِيًا بِهِ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

هَذَا اسْتِفْهَامٌ الْغَرَضُ مِنْهُ النَّفْيُ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾؛ أَيْ: لَا أَحَدَ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: مِمَّنْ دَعَا إِلَىٰ اللهِ، لَا إِلَىٰ نَفْسِهِ، وَلَا إِلَىٰ مَنْهَجِهِ، وَلَا إِلَىٰ طَرِيقَتِهِ، وَلَكِنْ إِلَىٰ اللهِ.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾: فَالْتَزَمَ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ، وَعَمِلَ بِهِ.

﴿وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: فَأَسْلَمَ الزِّمَامَ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِالشَّرْعِ الْأَغَرِّ، بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَا يَبْتَدِعُ، وَلَا يَتَزَيَّدُ، وَلَا يَجِدُ حَظَّ نَفْسِهِ، بَلْ يَجْعَلُ ذَلِكَ تَحْتَ مَوَاطِئِ أَقْدَامِهِ، يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ مُخْلِصًا، إِلَىٰ اللهِ خَالِصًا، لِلَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا أَحَدَ هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلًا، وَلَا أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ فِعْلًا، وَلَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْهُ دَعْوَةً.

وَكُلُّ مُكَلَّفٍ وَجَبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي كِتَابِهِ الْعَظِيمِ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فَمَنِ اتَّبَعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ؛ دَعَا إِلَىٰ اللهِ، وَأَتْبَاعُ النَّبِيِّ ﷺ دُعَاةٌ إِلَىٰ اللهِ، كُلٌّ بِحَسَبِهِ، عَلَىٰ حَسَبِ عِلْمِهِ، لَا يَتَزَيَّدُ، وَإِلَّا كَانَ دَاعِيًا إِلَىٰ غَيْرِ رَبِّهِ، وَإِلَىٰ غَيْرِ صِرَاطِهِ، وَإِلَىٰ غَيْرِ دِينِهِ، قَائِلًا عَلَىٰ اللهِ بِلَا عِلْمٍ، وَإِنَّمَا يَدْعُو إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ قَدْرِ عِلْمِهِ وَعَلَىٰ قَدْرِ طَاقَتِهِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَفِي كُلِّ مَجَالٍ.(*).

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ سَمَاحَةِ الْإِسْلَامِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **الدَّعْوَةَ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ، وَالرِّفْقِ وَاللِّينِ، قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

ادْعُ يَا رَسُولَ اللهِ أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ إِلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ بِالْحِكْمَةِ، وَهِيَ وَضْعُ كُلِّ شَيْءٍ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي يُوجِبُهُ الْعَقْلُ، وَتَكْشِفُهُ التَّجْرِبَةُ، وَتَتَحَقَّقُ بِهِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الدَّعْوَةُ إِلَىٰ اللهِ سَفِينَةُ النَّجَاةِ» - الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ| ١٥-٢-٢٠٠٨م.

الْغَايَةُ الْمَقْصُودَةُ، وَبِالنُّصْحِ الْمَقْرُونِ بِمَا يُثِيرُ الرَّغْبَةَ أَوِ الرَّهْبَةَ؛ لِلِانْتِفَاعِ بِالنُّصْحِ وَاتِّبَاعِ مَا هَدَىٰ إِلَيْهِ فِعْلًا أَوْ تَرْكًا.

﴿وَجَٰدِلْهُم﴾: بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ أَدَبًا وَتَهْذِيبًا وَقَوْلًا وَفِكْرًا، وَتَابِعْ دَعْوَةَ مَنْ لَمْ تُثْبِتِ التَّجْرِبَةُ الطَّوِيلَةُ أَنَّهُمْ مَيْئُوسٌ مِنَ اسْتِجَابَتِهِمْ، إِنَّ رَبَّكَ هُوَ وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ضَلَالًا غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِاسْتِعْدَادٍ مِنْ عُمْقِ نَفْسِهِ بِالِاسْتِجَابَةِ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ بَعْدَ حِينٍ، وَهُوَ وَحْدَهُ أَعْلَمُ بِمَنْ لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ لِأَنْ يَكُونَ مُسْتَقْبَلًا مِنَ الْمُهْتَدِينَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [النحل: ١٢٥].

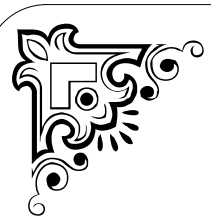
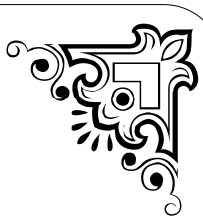

السَّمَاحَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ

إِنَّ مِنْ أَسْمَى الْعَلَاقَاتِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَقُومَ عَلَى السَّمَاحَةِ وَالْمَوَدَّةِ: الْعَلَاقَةَ الزَّوْجِيَّةَ، فَهِيَ مِنْ أَسْمَى الْعَلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَهِيَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

وَمِنْ آيَاتِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ: أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ جِنْسِكُمْ -أَيُّهَا الرِّجَالُ- أَزْوَاجًا؛ لِتَمِيلُوا إِلَيْهِنَّ وَتَأْلَفُوهُنَّ، وَتُصِيبُوا مِنْهُنَّ مُتْعَةً وَلَذَّةً، وَجَعَلَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ نَوْعًا مِنَ الْحُبِّ الْهَادِئِ الثَّابِتِ، وَعَاطِفَةً نَفْسِيَّةً تَدْفَعُكُمْ إِلَىٰ الْعَطَاءِ وَالْمُسَاعَدَةِ، وَمُشَارَكَةِ الْمَعْطُوفِ فِي آلَامِهِ وَآمَالِهِ.

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعَلَامَاتٍ مُتَعَدِّدَاتٍ جَلِيلَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ تَفْكِيرًا عَمِيقًا مُتَأَنِّيًا فِيمَا خَلَقَ اللهُ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ مِنْ مَوَدَّةٍ وَرَحْمَةٍ وَسَكَنٍ نَفْسِيٍّ.(*).

إِنَّ بَابَ عِشْرَةِ النِّسَاءِ بَابٌ عَظِيمٌ تَجِبُ الْعِنَايَةُ بِهِ؛ لِأَنَّ تَطْبِيقَهُ مِنْ أَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ، وَلِأَنَّ تَطْبِيقَهُ تَدُومُ بِهِ الْمَوَدَّةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَلِأَنَّ تَطْبِيقَهُ يَحْيَا بِهِ الزَّوْجَانِ حَيَاةً سَعِيدَةً.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الروم: ٢١].

«اعْلَمْ أَنَّ مُعَامَلَتَكَ لِزَوْجَتِكَ؛ يَجِبُ أَنْ تُقَدِّرَ كَأَنَّ رَجُلًا زَوْجًا لِابْنَتِكَ؛ كَيْفَ يُعَامِلُهَا؟

فَهَلْ تَرْضَىٰ أَنْ يُعَامِلَهَا بِالْجَفَاءِ وَالْقَسْوَةِ؟

الْجَوَابُ: لَا.

إِذَنْ؛ لَا تَرْضَ أَنْ تُعَامِلَ بِنْتَ النَّاسِ بِمَا لَا تَرْضَىٰ أَنْ تُعَامَلَ بِهِ ابْنَتُكَ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهَا كُلُّ إِنْسَانٍ.

وَقَدْ رَوَىٰ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُسْنَدِ»(١): «أَنَّ فَتًى شَابًّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! ائْذَنْ لِي بِالزِّنَىٰ!

فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «**ادْنُهْ**»، فَدَنَا حَتَّىٰ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟**».

---

(١) «**مسند الإمام أحمد**»: (٥/ ٢٥٦ - ٢٥٧)، وأخرجه أيضا: الطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٨/ ١٩٠-١٩١ و٢١٥، رقم ٧٦٧٩ و٧٧٥٩)، وفي «**مسند الشاميين**»: (٢/ ٣٧٣، رقم ١٥٢٣)، وابن عدي في «**الكامل**»: (٣/ ٣٩٣)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٧/ ٢٩٥، رقم ٥٠٣٢)، من حديث: أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
وفي رواية للبيهقي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٩/ ١٦١): «**أَتُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ ذَلِكَ بِأُخْتِكَ؟**» قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَبِابْنَتِكَ؟**» قَالَ: لَا، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ بِكَذَا وَكَذَا ، كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ لَا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَاكْرَهْ مَا كَرِهَ اللهُ وَأَحِبَّ لِأَخِيكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ**»، وللطبراني في «**مسند الشاميين**»: (٢/ ١٣٩-١٤٠، رقم ١٠٦٦): «**فَاكْرَهْ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ ، وَأَحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ**».
والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٧١٢-٧١٣، رقم ٣٧٠).

قَالَ: لَا.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟**».

قَالَ: لَا.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟**».

قَالَ: لَا.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟**».

قَالَ: لَا.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ، أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟**».

قَالَ: لَا.

قَالَ: «**وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ**».

قَالَ: فَوَضَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ عَلَىٰ صَدْرِهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»،... الْحَدِيثَ.

فَهَذَا مِقْيَاسٌ عَقْلِيٌّ وَاضِحٌ جِدًّا، فَكَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرْضَىٰ أَنْ تَكُونَ ابْنَتُهُ تَحْتَ رَجُلٍ يُقَصِّرُ فِي حَقِّهَا وَيُهِينُهَا، وَيَجْعَلُهَا كَالْأَمَةِ يَجْلِدُهَا جَلْدَ الْعَبْدِ؛ فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يُعَامِلَ زَوْجَتَهُ بِهَذَا، لَا بِالصَّلَفِ وَالِاسْتِخْدَامِ الْخَارِجِ عَنِ الْعَادَةِ.

وَعَلَىٰ الزَّوْجَةِ -أَيْضًا- أَنْ تُعَامِلَ زَوْجَهَا مُعَامَلَةً طَيِّبَةً، أَطْيَبَ مِنْ مُعَامَلَتِهِ لَهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وَلِأَنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- سَمَّىٰ الزَّوْجَ سَيِّدًا، فَقَالَ ﷻ فِي سُورَةِ يُوسُفَ: ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ﴾ [يوسف: ٢٥].

وَلِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَمَّىٰ الزَّوْجَةَ أَسِيرَةً، فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ**»(١).

«**وَعَوَان**»: جَمْعُ عَانِيَةٍ، وَهِيَ الْأَسِيرَةُ.

فَعَلَىٰ كُلِّ حَالٍ؛ الْوَاجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَحْيَا حَيَاةً سَعِيدَةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً؛ أَنْ يُعَاشِرَ زَوْجَتَهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلزَّوْجَةِ مَعَ زَوْجِهَا؛

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٢/ ٢٤٥، قم ٢١٤٥) مختصرا، وأحمد في «**المسند**»: (٥/ ٧٢-٧٣) واللفظ له، من حديث: عَمِّ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ آخِذًا بِزِمَامِ نَاقَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، أَذُودُ عَنْهُ النَّاسَ،...فذكر حديث طويل في خطبته ﷺ في حجة الوداع، وفيه: «...، **فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٌ**،...».

والحديث حسن إسناده لغيره الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ٢٧٩، رقم ١٤٥٩) و(٧/ ٩٦-٩٧، رقم ٢٠٣٠)، وأصله في «صحيح مسلم» من رواية: جابر رضي الله عنه، وله شاهد من رواية: عَمْرِو بْنِ الْأَحْوَصِ رضي الله عنه، بلفظ: «**أَلَا وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ**،...»، وروي عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم، مرفوعا، بنحوه.

وَإِلَّا ضَاعَتِ الْأُمُورُ، وَصَارَتِ الْحَيَاةُ شَقَاءً، ثُمَّ هَذَا -أَيْضًا- يُؤَثِّرُ عَلَىٰ الْأَوْلَادِ؛ فَالْأَوْلَادُ إِذَا رَأَوُا الْمَشَاكِلَ بَيْنَ أُمِّهِمْ وَأَبِيهِمْ؛ سَوْفَ يَتَأَلَّمُونَ وَيَنْزَعِجُونَ، وَإِذَا رَأَوُا الْأُلْفَةَ فَسَيُسَرُّونَ؛ فَعَلَيْكَ -أَيُّهَا الْأَخُ الْحَبِيبُ- بِالْمُعَاشَرَةِ بِالْمَعْرُوفِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ [النساء: ١٩]، وَهَذَا أَمْرٌ، وَالْأَصْلُ فِي الْأَمْرِ الْوُجُوبُ.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فَأَثْبَتَ أَنَّ عَلَيْهِنَّ عِشْرَةً، فَيَجِبُ عَلَىٰ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ.. كُلٌّ مِنْهُمَا أَنْ يُعَاشِرَ الْآخَرَ بِالْمَعْرُوفِ.

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ فِي مُعَاشَرَتِهِ لِزَوْجَتِهِ بِالْمَعْرُوفِ أَلَّا يَقْصِدَ السَّعَادَةَ الدُّنْيَوِيَّةَ وَالْأُنْسَ وَالْمُتْعَةَ فَقَطْ، بَلْ يَنْوِي مَعَ ذَلِكَ التَّقَرُّبَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ بِفِعْلِ مَا يَجِبُ، وَهَذَا أَمْرٌ نَغْفُلُ عَنْهُ كَثِيرًا، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي مُعَاشَرَتِهِ لِزَوْجَتِهِ بِالْمَعْرُوفِ؛ قَصْدُهُ أَنْ تَدُومَ الْعِشْرَةُ بَيْنَهُمَا عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَيَغِيبُ عَنْ ذِهْنِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَهَذَا كَثِيرًا مَا نَنْسَاهُ، تُنْسِينَا إِيَّاهُ الشَّيَاطِينُ.

وَعَلَىٰ هَذَا فَيَنْبَغِي أَنْ تَنْوِيَ بِهَذَا أَنَّكَ قَائِمٌ بِأَمْرِ اللهِ: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾، فَهَذَا أَمْرٌ، وَأَنْتَ إِذَا عَاشَرْتَ بِالْمَعْرُوفِ؛ فَإِنَّكَ تَكُونُ مُمْتَثِلًا لِهَذَا الْأَمْرِ الْإِلَهِيِّ الْكَرِيمِ، وَإِذَا نَوَيْتَ ذَلِكَ؛ حَصَلَ لَكَ الْأَمْرُ الثَّانِي، وَهُوَ دَوَامُ الْعِشْرَةِ الطَّيِّبَةِ، وَالْمُعَامَلَةِ الطَّيِّبَةِ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلزَّوْجَةِ.

وَيَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ الزَّوْجَةِ؛ وَلَوْ رَأَىٰ مِنْهَا مَا يَكْرَهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩].

مَا أَبْلَغَ الْقُرْآنَ! لَمْ يَقُلْ جَلَّوَعَلَا: فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوهُنَّ، بَلْ قَالَ: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا﴾ أَيَّ شَيْءٍ يَكُونُ، فَقَدْ يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَىٰ بَيْتِ صَاحِبِهِ، وَيَجْعَلُ اللهُ فِي هَذَا الذَّهَابِ خَيْرًا كَثِيرًا، وَقَدْ يَكْرَهُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَشْتَرِيَ شَيْئًا، وَيَشْتَرِي هَذَا الشَّيْءَ وَهُوَ كَارِهٌ، فَيَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا.

وَكَذَلِكَ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا؛ رَضِيَ مِنْهَا خُلُقًا آخَرَ**»(١).

وَنَبَّهَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ هَذَا بِقَوْلِهِ: «**لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ، ثُمَّ يُضَاجِعُهَا**»(٢).

وَالْمَرْأَةُ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ- نَاقِصَةُ عَقْلٍ وَدِينٍ، وَقَرِيبَةُ الْعَاطِفَةِ، كَلِمَةٌ مِنْكَ تُبْعِدُهَا عَنْكَ بُعْدَ الثُّرَيَّا، وَكَلِمَةٌ تُدْنِيهَا مِنْكَ حَتَّىٰ تَكُونَ إِلَىٰ جَنْبِكَ؛ فَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يُرَاعِيَ هَذِهِ الْأَحْوَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ زَوْجَتِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٩١، رقم ١٤٦٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) «**صحيح البخاري**»: (٨/ ٧٠٥، رقم٤٩٤٢)، و«**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٩١، رقم ٢٨٥٥)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ زَمْعَةَ رضي الله عنه.

وفي رواية للبخاري: (٩/ ٣٠٤، رقم ٥٢٠٤): «**لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ**».

يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا يَغْضَبَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قُصُورٌ؛ حَتَّىٰ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ مُقَصِّرٌ، وَلَيْسَ صَحِيحًا أَنَّهُ كَامِلٌ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَهِيَ أَيْضًا أَوْلَىٰ بِالتَّقْصِيرِ.

وَأَيْضًا: يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَقِيسَ الْمَسَاوِئَ بِالْمَحَاسِنِ، عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُقَدِّرَ الْأُمُورَ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ سَيْرُهُ مَعَ أَهْلِهِ عَلَىٰ الْوَجْهِ الْأَكْمَلِ، وَالْإِنْسَانُ إِذَا عَوَّدَ نَفْسَهُ حُسْنَ الْأَخْلَاقِ انْضَبَطَ، وَبِذَلِكَ يَسْتَرِيحُ»(١).(*).

قَالَ ﷺ: «**إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ**»(٣). أَخرَجَهُ النَّسَائِيُّ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٤). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) **مختصر من: «الشرح الممتع»**: (١٢/ ٣٨٠-٣٨٥).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنَ التَّعْلِيقِ عَلَىٰ «الشَّرْحُ الْمُمْتِعُ شَرْحُ زَادِ الْمُسْتَقْنِعِ - كِتَابُ النِّكَاحِ: [عِشْرَةُ النِّسَاءِ]» - الْمُحَاضَرَةُ ١٧ - الثُّلَاثَاء ٣ مِنْ رَجَب ١٤٣١هـ| ١٥-٦-٢٠١٠م.

(٣) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (١/ ٦١، رقم ٢٣٦)، والترمذي في «**الجامع**»: (١/ ١٨٩-١٩٠، رقم ١١٣)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٢٠٠، رقم ٦١٢) مختصرا، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها.

والحديث صححه الألباني في «**صحيح أبي داود**»: (١/ ٤٢٩-٤٣٤، رقم ٩٥).

(٤) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٢٥٢-٢٥٣، رقم ٥١٨٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٩٠-١٠٩١، رقم ١٤٦٨)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُلَاطَفَةُ النِّسَاءِ، وَالْإِحسَانُ إِلَيْهِنَّ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ عِوَجِ أَخْلَاقِهِنَّ، وَاحْتِمَالُ ضَعْفِ عُقُولِهِنَّ، وَكَرَاهِيَةُ طَلَاقِهِنَّ بِلَا سَبَبٍ، وَأَنَّهُ لَا يُطْمَعُ بِاسْتِقَامَتِهَا، وَاللهُ أَعْلَمُ». (*).

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ حَسَنَ الْعِشْرَةِ مَعَ أَزْوَاجِهِ، وَهُوَ الْقَائِلُ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(٣).

وَقَالَ ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُهُمْ خِيَارُهُمْ لِنِسَائِهِمْ**»(٤). رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

---

(١) شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٠/ ٥٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠- ٥- ٢٠١٦م.

(٣) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٧٠٩، رقم ٣٨٩٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٦٣٦، رقم ١٩٧٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٥٧٥-٥٧٧، رقم ٢٨٥)، وروي عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرفوعا، بنحوه.

(٤) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٤/ ٢٢٠، رقم ٤٦٨٢) مختصرا، والترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ٤٥٧، رقم ١١٦٢) واللفظ له، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والحديث حسنه الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٥٧٣-٥٧٥، رقم ٢٨٤)، وروي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مرفوعا، بنحوه.

وَكَانَ ﷺ فِي الْبَيْتِ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ؛ فَعَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ رضي الله عنه قَالَ: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ رضي الله عنها؛ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟

قَالَتْ: «**كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ** -تَعْنِي: خِدْمَةَ أَهْلِهِ-، **فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ؛ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَفِي الْحَدِيثِ: التَّرْغِيبُ فِي التَّوَاضُعِ، وَتَرْكِ التَّكَبُّرِ، وَفِيهِ: خِدْمَةُ الرَّجُلِ أَهْلَهُ.

قَالَ ابنُ بَطَّالٍ(٢): «مِنْ أَخْلَاقِ الْأَنْبِيَاءِ: التَّوَاضُعُ، وَالْبُعْدُ عَنِ التَّنَعُّمِ، وَامْتِهَانُ النَّفْسِ؛ لِيُسْتَنَّ بِهِمْ، وَلِئَلَّا يَخْلُدُوا إِلَىٰ الرَّفَاهِيَةِ الْمَذْمُومَةِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: «أَنَّهَا سُئِلَتْ؛ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟

قَالَتْ: «**كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ؛ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ**». أَخْرَجَهُ أَحمَدُ بِإِسنَادٍ صَحِيحٍ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٢/ ١٦٢، رقم ٦٧٦).

(٢) شرحه علىٰ «**صحيح البخاري**»: (٩/ ٢٣٤)، وانظر: «**فتح الباري**» لابن حجر: (١٠/ ٤٦١).

(٣) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٦/ ٢٥٦، رقم ٢٦١٩٤)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: (ص١٤٢، رقم ٥٤١)، والترمذي في «**الشمائل**»: (ص٢٨٢-٢٨٣، رقم٣٤٣)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٨/ ٢٨٦، رقم ٤٨٧٣)، وابن حبان في «**الصحيح**»: (١٢/ ٤٨٨-٤٨٩، رقم ٥٦٧٥).

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ٢٧٥، رقم ٦٧١).

وَالنَّبِيُّ ﷺ مَهْمَا قُدِّمَ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ؛ لَمْ يَذُمَّهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «**مَا عَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَمَا ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ امْرَأَةً قَطُّ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا بِيَدِهِ قَطُّ، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا؛ إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمُ مِنْ صَاحِبِهِ؛ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ** ﷻ». رَوَاهُ مُسلِمٌ(٢).

وَمِنْ رَحْمَةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَزْوَاجِهِ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ-: أَنَّهُ أَمَرَ سَائِقَ إِبِلِهِنَّ أَنْ يَرْفُقَ بِهِنَّ؛ فَعَن أَنَسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَىٰ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِ وَسَوَّاقٌ يَسُوقُ بِهِنَّ يُقَالُ لَهُ: أَنْجَشَةُ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ يَا أَنْجَشَةُ! رُوَيْدًا سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ**»(٣).

وَعَنهُ رضي الله عنه قَالَ: كَان لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَادٍ حَسَنُ الصَّوتِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُوَيدًا يَا أَنجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ القَوَارِيرَ**»؛ يَعنِي: ضَعَفَةَ النِّسَاءِ. رَوَاهُ مُسلِمٌ.(*).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٦/ ٥٦٦، رقم ٣٥٦٣) ، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٦٣٣، رقم ٢٠٦٤).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨١٤، رقم ٢٣٢٨) ، والحديث أصله في «الصحيحين» بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٠/ ٥٣٨، رقم ٦١٤٩)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٨١١-١٨١٢، رقم ٢٣٢٣).

وفي رواية لمسلم: كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حَادٍ حَسَنُ الصَّوْتِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**رُوَيْدًا يَا أَنْجَشَةُ، لَا تَكْسِرِ الْقَوَارِيرَ**» يَعْنِي: ضَعَفَةَ النِّسَاءِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَهْلُ الْقِبْلَةِ» - الْجُمُعَةُ ١٣ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٧ هـ| ٢٠- ٥- ٢٠١٦م.

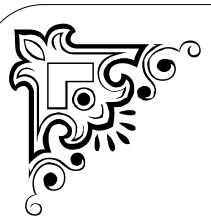

السَّمَاحَةُ بَيْنَ الْجِيرَانِ

إِنَّ مِنَ أَحَقِّ مَنْ يَنْبَغِي التَّعَامُلُ مَعَهُمْ بِالسَّمَاحَةِ وَالْوُدِّ: الْجِيرَانَ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ ﴾ [النساء: ٣٦].(*).

إِنَّ الْجَارَ لَهُ حَقٌّ بِإِطْلَاقٍ؛ سَوَاءٌ كَانَ مُسْلِمًا أَمْ كَانَ كَافِرًا، سَوَاءٌ كَانَ طَائِعًا أَمْ كَانَ عَاصِيًا، سَوَاءٌ كَانَ عَالِمًا أَمْ كَانَ جَاهِلًا، سَوَاءٌ كَانَ مُصَالِحًا أَمْ كَانَ مُخَاصِمًا.

الْجَارُ مُطْلَقُ الْجَارِ لَهُ حَقٌّ؛ لِأَنَّ النُّصُوصَ وَرَدَتْ مُطْلَقَةً مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ، وَهَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يَقُولُ قَوْلًا مُرْسَلًا، عَامًّا مُطْلَقًا مِنْ غَيْرِ قَيْدٍ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «أَصْحَابُ التِّجَارِبِ الْفَاشِلَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٢هـ| ٣٠-٩-٢٠١١م.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١٥)، ومسلم (٢٦٢٥)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»-: «**وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لَا يُؤْمِنُ**» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

قَالَ الْأَصْحَابُ رضي الله عنهم: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

قَالُوا رضي الله عنهم: وَمَا بَوَائِقُهُ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**شَرُّهُ**»(١).

وَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ الَّذِي يُؤْتِيهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعَبْدَ فِي الدُّنْيَا، «**فَأَرْبَعٌ مِنَ الْهَنَاءِ: الْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْبَيْتُ الْوَاسِعُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الْمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالدَّارُ الضَّيِّقَةُ، وَالْجَارُ السُّوءُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ**»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٦)، من حديث: أَبِي شُرَيْحٍ رضي الله عنه، وذكره البخاري أيضا معلقا مجزوما به عقيب حديث أبي شريح (الأدب، ٢٩ تعليقا)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، وأخرجه موصولا أحمد في «المسند» (٧٨٧٨)، واللفظ له، وأخرجه مسلم (٤٦)، من طريق آخر عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**».

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (رقم ٤٠٣٢ - الإحسان)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٩٨، ترجمة ٦٥٢٨)، من حديث: سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ:...**» الحديث، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٨٢).

فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الشَّقَاءِ: أَنْ تُرْزَقَ جَارًا شَقِيًّا، كُلَّ حِينٍ يُؤْذِيكَ بِصَوْتِ الْمِذْيَاعِ وَالتِّلْفَازِ!!.(*).

فَعَلَىٰ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ خَاصَّةً أَنْ يَجْتَهِدُوا جَمِيعًا فِي الْبُعْدِ عَنْ أَذِيَّةِ الْجَارِ؛ لِأَنَّهَا مِنَ الْكَبَائِرِ الْعَظِيمَةِ فِي دِينِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ فُلَانَةَ تَقُومُ اللَّيْلَ، وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ**».

قالوا: وَفُلَانَةُ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلا تُؤْذِي أَحَدًا.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

أَثْوَار: جَمْعُ ثَوْرٍ؛ وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ الْأَقِطِ، وَهُوَ لَبَنٌ جَامِدٌ مُتَحَجِّرٌ -الجُبْنُ الْمُجَفَّفُ-.

فَعَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ أَنْ يَجْتَهِدُوا فِي الْبُعْدِ عَنْ أَذِيَّةِ الْجِيرَانِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَأَنَّهُ مِحْنَةٌ كَبِيرَةٌ جِدًّا؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي جَاءَ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، فَقَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ! كَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ إِذَا أَحْسَنْتُ أَنِّي أَحْسَنْتُ، وَإِذَا أَسَأْتُ أَنِّي أَسَأْتُ؟».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْجَارِ» - الْجُمُعَةُ ١١-٦-٢٠٠٤م.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٨٨).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا قَالَ جِيرَانُكَ: أَحْسَنْتَ؛ فَقَدْ أَحْسَنْتَ، وَإِذَا قَالَ جِيرَانُكَ: أَسَأْتَ؛ فَقَدْ أَسَأْتَ**»(١). حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْمِلَّةِ.

وَقَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جَارٌ يَهُودِيٌّ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَفَقَّدُهُ فِي مَرَضِهِ؛ لِيَعْرِضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، فَلَمَّا قَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، وَأَسْلَمَ؛ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بِي مِنَ النَّارِ**»(٢).

فَلْنَجْتَهِدِ اجْتِهَادًا كَبِيرًا فِي الْبُعْدِ عَنْ أَذِيَّةِ الْجِيرَانِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ لَا هَزْلَ فِيهِ، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ هَذَا الْأَمْرَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ، وَفَهِمَهُ مَنْ فَهِمَهُ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ، فَكَانُوا مُوَفَّقِينَ غَايَةَ التَّوْفِيقِ.

حَقُّ الْجَارِ حَقٌّ لَازِمٌ أَحَقَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، لَيْسَ مِنَّةً مِنْكَ وَلَا تَفَضُّلًا، إِذَا مَا وَصَلْتَ جَارَكَ فَهَذَا لَيْسَ مِنَّةً مِنْكَ، بَلْ هُوَ مُعَلَّقٌ عَلَىٰ رَقَبَتِكَ، هُوَ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْ رِعَايَتِهِ، وَلَا بُدَّ مِنْ حِيَاطَتِهِ، وَلَا بُدَّ مِنَ الِالْتِفَاتِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ حَقٌّ لَازِمٌ وَعَظِيمٌ.(*/٢).

❀❀❀

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٢٣)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٤٩٨٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٦، و٥٦٥٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «نَصَائِحُ مُهِمَّةٌ وَتَوْجِيهَاتٌ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْجَارِ» - الْجُمُعَةُ ١١-٦-٢٠٠٤م.

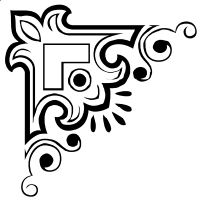

السَّمَاحَةُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَصْدِقَاءِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! مِمَّنْ يَنْبَغِي الرِّفْقُ بِهِمْ وَالسَّمَاحَةُ فِي مُعَامَلَتِهِمْ: الْإِخْوَةُ وَالْأَصْدِقَاءُ وَالزُّمَلَاءُ؛ فَقَدْ وَطَّدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْعَلَاقَةَ بَيْنَ عُمُومِ النَّاسِ، وَبَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَصْحَابِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ آدَمَ وَحَوَّاءَ، فَالْمَجْمُوعَةُ الْبَشَرِيَّةُ كُلُّهَا تَلْتَقِي عَلَىٰ أَصْلٍ وَاحِدٍ، وَبَيْنَ النَّاسِ أُخُوَّةٌ إِنْسَانِيَّةٌ عَامَّةٌ، وَجَعَلْنَاكُمْ جُمُوعًا عَظِيمَةً وَقَبَائِلَ مُتَعَدِّدَةً؛ لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي قُرْبِ النَّسَبِ وَبُعْدِهِ، لَا لِلتَّفَاخُرِ بِالْأَنْسَابِ وَالتَّعَالِي بِالْأَحْسَابِ، إِنَّ أَرْفَعَكُمْ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَتْقَاكُمْ لَهُ.

إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ عِلْمًا كَامِلًا شَامِلًا بِظَوَاهِرِكُمْ، وَيَعْلَمُ أَنْسَابَكُمْ، خَبِيرٌ عَلَىٰ سَبِيلِ الشُّهُودِ وَالْحُضُورِ بِبَوَاطِنِكُمْ، لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ؛ فَاجْعَلُوا التَّقْوَىٰ زَادَكُمْ إِلَىٰ مَعَادِكُمْ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «التَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ [لحجرات: ١٣].

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُرِيدُ الْمُجْتَمَعَ الْمُسْلِمَ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ(*)، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فِي الِالْتِقَاءِ الْفِكْرِيِّ عَلَىٰ عَقِيدَةٍ عِلْمِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي الْتِقَاءِ الْقُلُوبِ عَلَىٰ عَاطِفَةٍ دِينِيَّةٍ وَأَهْدَافٍ غَائِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي الْتِقَائِهِمْ عَلَىٰ أَحْكَامٍ تَشْرِيعِيَّةٍ وَقِيادَةٍ وَاحِدَةٍ»(٢). (*/٢).

وَنَصَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ صَرَاحَةً، قَالَ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىٰ**»(٤). (*/٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ» - مُحَاضَرَة ١.

(٢) «**الأخلاقُ الإسلاميَّة وأُسُسُها**» لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: (٢/ ١٩٤) بتصرف واختصار يسير.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» [الحجرات: ١٠].

(٤) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٠/ ٤٣٩، رقم ٦٠١١)، ومسلم في «الصحيح»: (٤/ ١٩٩٩، رقم ٢٥٨٦) واللفظ له، من حديث النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنه.

وفي رواية البخاري: «تَرَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ،...» الحديث، وفي رواية لمسلم: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ إِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّىٰ وَالسَّهَرِ»، وفي رواية له أيضًا: «الْمُسْلِمُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِنِ اشْتَكَىٰ عَيْنُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَىٰ رَأْسُهُ اشْتَكَىٰ كُلُّهُ».

والحديث بنحوه في الصحيحين -أيضًا- من حديث: أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه، بلفظ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**».

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «بِرُّ الْوَالِدَيْنِ وَصِلَةُ الرَّحِمِ» - مُحَاضَرَة ١ - الجمعة ١٩/ ٨/ ١٩٩٥م.

يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنْ نَبِيِّهِ ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فَبِسَبَبِ رَحْمَةٍ عَظِيمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَّقَكَ اللهُ لِلرِّفْقِ وَالتَّلَطُّفِ بِأَصْحَابِكَ، وَأَلْقَىٰ فِي قَلْبِكَ دَاعِيَةَ الرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ؛ فَسَهُلَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، وَلِنْتَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ فِي أَقْوَالِكَ وَأَعْمَالِكَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْكَ، وَلَوْ كُنْتَ جَافِيًا مُتَجَهِّمَ الْوَجْهِ، سَيِّءَ الْخُلُقِ، قَلِيلَ الِاحْتِمَالِ، قَاسِيَ الْقَلْبِ، خَالِيًا مِنْ عَاطِفَةِ الرَّحْمَةِ؛ لَنَفَرُوا عَنْكَ، وَتَفَرَّقُوا حَتَّىٰ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ مِنْهُمْ عِنْدَكَ.

فَتَجَاوَزْ عَنْ زَلَّاتِهِمْ، وَاسْأَلِ اللهَ السَّتْرَ لِذُنُوبِهِمْ، وَاسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ، وَاعْلَمْ مَا عِنْدَهُمْ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ؛ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، فَإِذَا وَصَلَتْ إِرَادَتُكَ إِلَىٰ مُسْتَوَىٰ الْعَزْمِ عَلَىٰ الْأَمْرِ بَعْدَ الشُّورَىٰ وَاسْتِعْرَاضِ مُخْتَلَفِ الْآرَاءِ، وَتَرْجِيحِ الرَّأْيِ الْأَكْثَرِ نَفْعًا وَسَدَادًا لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَاعْمَلْ عَلَىٰ تَنْفِيذِ مَا عَزَمْتَ عَلَيْهِ مُتَوَكِّلًا عَلَيْهِ وَحْدَهُ، وَاللهُ سَيَمُدُّكَ بِمَعُونَتِهِ وَتَسْدِيدِهِ، وَيَدْفَعُ عَنْكَ الْأَعْرَاضَ وَالْمَوَانِعَ، وَيُحَقِّقُ لَكَ النَّتَائِجَ الَّتِي تَرْجُوهَا؛ لِأَنَّهُ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْهِ، مَعَ قِيَامِهِمْ بِكُلِّ مَا تَقْتَضِيهِ حَاجَاتُ التَّنْفِيذِ مِنْ أَسْبَابٍ رَبَطَ اللهُ بِهَا النَّتَائِجَ فِي نِظَامِ كَوْنِهِ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [آل عمران: ١٥٩].

فَإِذَا كَانَ هَذَا شَأْنَ النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ فِيمَا لَوْ تَعَامَلَ مَعَهُمْ بِالْغِلْظَةِ، وَمَا يَنْشَأُ عَنْهُ مِنَ انْفِضَاضِ أَصْحَابِهِ؛ فَكَيْفَ لَوْ تَعَامَلَ بِذَلِكَ مَنْ هُوَ دُونَهُ مَعَ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ؟!!

وَأَنْتَ تَرَىٰ -حَفِظَكَ اللهُ- بُعْدَ النَّاسِ عَنِ الدِّينِ.

فَالرِّفْقَ الرِّفْقَ!

وَاللِّينَ اللِّينَ! إِلَّا فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، فَيَتَوَجَّبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْتِيَ بِالشِّدَّةِ فِي مَوَاضِعِهَا.

فَالرِّفْقَ الرِّفْقَ.. وَاللِّينَ اللِّينَ؛ حَتَّىٰ تُبَلِّغَ دِينَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ الرِّفْقَ سَبَبُ كُلِّ خَيْرٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَشْمَلَ حَيَاةَ الْمُسْلِمِ، فَمَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمْ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.(*).

النَّبِيُّ ﷺ إِذَا غَابَ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مَرِيضًا عَادَهُ، وَإِنْ كَانَ مُسَافِرًا دَعَا لَهُ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ مَاتَ اسْتَغْفَرَ لَهُ وَصَلَّىٰ عَلَىٰ قَبْرِهِ رُبَّمَا، كَمَا فَعَلَ مَعَ بَعْضِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَصْحَابِهِ.

وَكَانَ يَسْتَفْسِرُ عَنْ أَحْوَالِ أُمَّتِهِ، وَمَا وَقَعَ لَهُمْ مِنْ خَيْرٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَكَانَ لَا يُقَبِّحُ الْحَسَنَ، وَإِنَّمَا كَانَ يُثْنِي عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ الْحَسَنِ، وَيُقَبِّحُ الْقَبِيحَ وَيُوَهِّنُهُ، وَذَلِكَ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابٌ: الرِّفْقُ-» (ص٢٠٦٢-٢٠٦٤).

لِاعْتِدَالِ أَمْرِهِ، وَعَدَمِ إِسْرَافِهِ فِي إِلْقَاءِ الْأَحْكَامِ، غَيْرَ مُتَنَاقِضٍ فِيمَا يَقُولُ وَفِيمَا يَفْعَلُ، وَكَانَ مُنْتَبِهًا لِكُلِّ أَمْرٍ فِيهِمْ، فَكَانَ لَا يُثْقِلُ عَلَيْهِمْ بِالتَّكْلِيفِ أَوِ الْمَوْعِظَةِ، فَإِذَا وَعَظَهُمْ تَخَوَّلَهُمْ فِي الْمَوْعِظَةِ حَتَّىٰ لَا يَمَلُّوا.(*).

وَكَانَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ عِيَادَةُ مِنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ(*/٢)، **فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»**(٣) **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «مَرِضْتُ، فَأَتَانِي النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي، وَأَبُو بَكْرٍ، وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ فَأَفَقْتُ».

وَكَانَ رَسُولُنَا الْكَرِيمُ ﷺ يَشْهَدُ الْجَنَائِزَ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٤) **-أَيْضًا-، عَنْ عَلِيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: «كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، وَهُوَ مَدْفَنُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مَخْصَرَةٌ -وَهِيَ عَصَا لَطِيفَةٌ، أَوْ عُكَّازٌ-، فَنَكَسَ -أَيْ: فَخَفَضَ رَأْسَهُ وَطَأْطَأَهُ إِلَىٰ الْأَرْضِ عَلَىٰ هَيْئَةِ الْمَهْمُومِ-

---

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ - بَابٌ مَا جَاءَ فِي تَوَاضُعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» (مُحَاضَرَة ٥٥)، الثُّلَاثَاءُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٤-٦-٢٠١٤م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُهَذَّبِ زَادِ الْمَعَادِ -هَدْيُهُ ﷺ فِي عِيَادَةِ الْمَرْضَىٰ-» - مُحَاضَرَة ١٦ السَّبْتُ ٢٨ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٩-٣-٢٠١٤م.

(٣) «صحيح البخاري»: (١/ ٣٠١، رقم ١٩٤)، و«صحيح مسلم»: (٣/ ١٢٣٤-١٢٣٥، رقم ١٦١٦).

(٤) «صحيح البخاري»: (٣/ ٢٣٥، رقم ١٣٦٢)، و«صحيح مسلم»: (٤/ ٢٠٣٩، رقم ٢٦٤٧).

وَجَعَلَ يَنْكُتُ -أَيْ: يَخُطُّ خَطًّا يَسِيرًا مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ بِمَخْصَرَتِهِ-، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ**».

وَكَانَ ﷺ يَقْضِي حَاجَةَ الْعَبِيدِ؛ فَمِنْ تَوَاضُعِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْعَبِيدِ: مَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١) **عَنْ أَنَسٍ، قَالَ**: «كَانَتِ الْأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ تَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ».(*).

وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٣) **عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ**: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ -يَعْنِي: وَهُمْ فِي الصَّلَاةِ-.

قَالَ: فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ! قَالَ: فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ(٤)، فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ!(٥) مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟!(٦).

---

(١) أخرجه البخاري: (١٠/ ٤٨٩، رقم ٦٠٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ «شَرْحُ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ - بَابٌ مَا جَاءَ فِي تَوَاضُعِ رَسُولِ اللهِ ﷺ» (مُحَاضَرَة ٥٥)، الثُّلَاثَاءُ ٢٦ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣٥هـ| ٢٤-٦-٢٠١٤م.

(٣) «**صحيح مسلم**»: (١/ ٣٨١-٣٨٢، رقم ٥٣٧).

(٤) «**فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ**»، أَيْ: أَشَارُوا إِلَيَّ بِأَعْيُنِهِمْ مِنْ غَيْرِ كَلَامٍ، وَنَظَرُوا إِلَيَّ نَظَرَ زَجْرٍ كَيْلَا أَتَكَلَّمَ فِي الصَّلَاةِ.

(٥) «**وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ**» بِكَسْرِ الْمِيمِ، وَ(الثُّكْلُ) بِضَمٍّ وَسُكُونٍ، وَبِفَتْحِهِمَا (ثَكَل)، وهو: فِقْدَانُ الْمَرْأَةِ وَلَدَهَا، وَالْمَعْنَىٰ: وَافَقْدَهَا لِي فَإِنِّي هَلَكْتُ.

(٦) «**مَا شَأْنُكُمْ**» بِالْهَمْزَةِ وَيُبْدَلُ، أَيْ: مَا حَالُكُمْ وَأَمْرُكُمْ «**تَنْظُرُونَ إِلَيَّ**»، أي: نَظَرَ الْغَضَبِ.

كُلُّ هَذَا وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ..

فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي(١) لَكِنِّي سَكَتُّ(٢).

فَلَمَّا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي- مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ؛ فَوَاللهِ مَا قَهَرَنِي(٣) وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا شَتَمَنِي(٤)، قَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ**»، أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

قَالَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٥): «قَوْلُ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! مَا أُرِيتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ»..

فِيهِ: بَيَانُ مَا كَانَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عَظِيمِ الْخُلُقِ الَّذِي شَهِدَ اللهُ -تَعَالَىٰ- لَهُ بِهِ، وَرِفْقِهِ بِالْجَاهِلِ، وَرَأْفَتِهِ بِأُمَّتِهِ، وَشَفَقَتِهِ عَلَيْهِمْ.

---

(١) «**يُصَمِّتُونَنِي**» بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ، أَيْ: يُسَكِّتُونِي، فَعَجِبْتُ -لِجَهْلِي بِقُبْحِ مَا ارْتَكَبْتُ- لِمُبَالَغَتِهِمْ فِي الْإِنْكَارِ عَلَيَّ.

(٢) «**لَكِنِّي سَكَتُّ**»، أَيْ: سَكَتُّ امْتِثَالًا؛ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنِّي، وَلَمْ أَعْمَلْ بِمُقْتَضَىٰ غَضَبِي.

(٣) «**فَوَاللهِ مَا قَهَرَنِي**»، أَيْ: مَا نهرني وزَجَرَنِي وَاسْتَقْبَلَنِي بِوَجْهٍ عَبُوسٍ، والْكَهْرُ وَالْقَهْرُ وَالنَّهْرُ أَخَوَاتٌ.

(٤) «**وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي**»: أَرَادَ نَفْيَ أَنْوَاعِ الزَّجْرِ وَالْعُنْفِ.

(٥) شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (٥/ ٢٠).

وَفِيهِ: التَّخَلُّقُ بِخُلُقِهِ ﷺ فِي الرِّفْقِ بِالْجَاهِلِ، وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ، وَاللُّطْفِ بِهِ، وَتَقْرِيبِ الصَّوَابِ إِلَىٰ فَهْمِهِ». (*).

وَهَذِهِ نَمَاذِجُ مُضِيئَةٌ فِي السَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَاتِ مِنْ سِيَرِ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ؛ فَقَدْ شَتَمَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ رَحِمَهُ اللهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: «يَا هَذَا! إِنِّي قَدْ أَمَتُّ مُشَاتَمَةَ الرِّجَالِ صَغِيرًا، فَلَنْ أُحْيِيَهَا كَبِيرًا، وَأَنَا لَا أُكَافِئُ مَنْ عَصَىٰ اللهَ فِيَّ بِأَكْثَرَ مِنْ أَنْ أُطِيعَ اللهَ فِيهِ»(٢).

وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: إِنَّ فُلَانًا شَتَمَكَ!

فَقَالَ: اذْهَبْ بِنَا إِلَيْهِ.

فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَتَّىٰ صَارَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ، وَالرَّجُلُ الَّذِي نَقَلَ يَظُنُّ أَنَّهُ مَا ذَهَبَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الْمُعَاقَبَةِ، فَلَمَّا صَارَ عِنْدَهُ؛ أَقْبَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «يَا أَخِي! إِنْ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «آدَابُ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ» - الْخَمِيسُ ١٩ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٧-٧-٢٠١٤م.

(٢) أخرجه البُرْجُلاني في «**الكرم والجود**»: (ص٤٦، رقم ٣٥)، وابن قتيبة في «**عيون الأخبار**»: (١/ ٣٩٩)، وأبو عروبة الحراني في «**جزء له**» رواية الأنطاكي: (ص١٩، رقم ١٨)، والدينوري في «**المجالسة**»: (٤/ ٤٠٧-٤٠٨، رقم ١٦٠٢)، وأبو نعيم في «**حلية الأولياء**»: (٥/ ١١٣)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٠/ ٤٢١-٤٢٢، رقم ٧٧٣٠) و(١١/ ٣٠-٣١، رقم ٨١٠٦)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (١١/ ١٨٧-١٨٨، ترجمة ابن عياش)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤٥/ ٢٧-٢٨، ترجمة عمر بن ذر)، وهو صحيح عنه.

وروي عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بنحوه.

كُنْتَ صَادِقًا فَغَفَرَ اللهُ لِي، وَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَغَفَرَ اللهُ لَكَ»(١).

وَهَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا تَغِيبُ عَنْهُ أَسْبَابُ انْفِعَالِهِ حَالَ انْفِعَالِهِ لَحْظَةً وَاحِدَةً فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ، وَهُوَ فِيهِ رَأْسٌ.. عُبَيْدُ اللهِ بْنُ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيُّ؛ يُسْأَلُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ سُؤَالًا، وَوَرَدَتِ الْمَسْأَلَةُ، فَأَخْطَأَ حِينَ الْجَوَابِ، وَغَلِطَ فِي الْإِجَابَةِ، فَكَانَ مَاذَا؟!!

لَا شَيْءَ، وَمَنِ الَّذِي لَا يَغْلَطُ؟! خَطِئَ الْمَسْأَلَةَ بَعْدَ الْمَسْأَلَةِ، لَا يُدْرِكُ فِيهَا صَوَابًا، وَلَا يَفْتَحُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَىٰ الْإِجَابَةِ فِيهَا بَابًا، فَكَانَ مَاذَا؟!!

لَا شَيْءَ.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (٤١/ ٣٩٥، ترجمة علي بن الحسين)، بإسناده، عن أبي يعقوب المدني، قال:

«كان بين حسن بن حسن وبين علي بن حسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلىٰ علي بن حسين وهو مع أصحابه في المسجد، فما ترك شيئا إلا قاله له، قال: وعلي ساكت، فانصرف حسن، فلما كان الليل أتاه في منزله، فقرع عليه بابه، فخرج إليه، فقال له علي: «يا أخي، إن كنت صادقا فيما قلت لي يغفر الله لي، وإن كنت كاذبا يغفر الله لك، السلام عليكم»، وولىٰ.

قال: فاتبعه حسن فلحقه، فالتزمه من خلفه وبكىٰ حتىٰ رثىٰ له، ثم قال: «لا جرم لا عدت في أمر تكرهه»، فقال علي: «وأنت في حل مما قلت لي».

وبهذا المعنىٰ فُسّر قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾، وروي عن عامر الشعبي نحوه.

فَلَمَّا بُيِّنَ لَهُ غَلَطُهُ؛ نَكَّسَ رَأْسَهُ سَاعَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «إِذَنْ؛ أَعُودُ إِلَىٰ الْحَقِّ وَأَنَا صَاغِرٌ، وَلَأَنْ أَكُونَ ذَنَبًا فِي الْحَقِّ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ رَأْسًا فِي الْبَاطِلِ»(١). (*).

❀❀❀

(١) أخرجه وكيع في «**أخبار القضاة**»: (٢/ ٩٠)، وأبو نعيم في «**الحلية**»: (٩/ ٥-٦ و٤١)، وابن عبد البر في «**جامع بيان العلم**»: (١/ ٥٣٤، رقم ٨٧٧)، والخطيب في «**تاريخ بغداد**»: (١٢/ ٩، ترجمة عبيد الله بن الحسن العنبري)، وأبو الحسين الصيرفي كما في «**الطيوريات**» انتخاب السلفي: (٢/ ٣٠٥، رقم ٢٤٧)، وابن الجوزي في «**المنتظم**»: (٨/ ٢٩٨، ترجمة عبيد الله العنبري)، بإسناد صحيح.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مَقْطَعٍ بِعُنْوَانِ: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَخُطُورَةُ الْكَلِمَةِ مِنْ سِلْسِلَةِ الْقَوْلِ الْمُبِينِ».

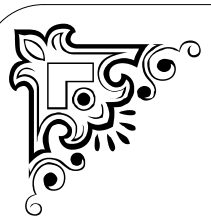
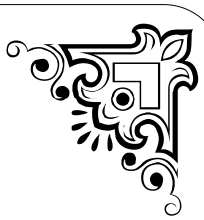

السَّمَاحَةُ فِي الطُّرُقِ وَالْمُوَصِّلَاتِ الْعَامَّةِ

عِبَادَ اللهِ! مَا أَحْوَجَ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنْ تَارِيخِهِمْ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ الْآدَابِ الَّتِي دَلَّهُمْ عَلَيْهَا دِينُهُمْ، وَأَرْشَدَتْهُمْ إِلَيْهَا سُنَّةُ نَبِيِّهِمْ ﷺ.

وَمِنْ هَذِهِ الْآدَابِ الْعَظِيمَةِ: آدَابُ الطَّرِيقِ، وَمِنْهَا: السَّمَاحَةُ فِي مُعَامَلَةِ الْمَارَّةِ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَى مِنْهُمْ، وَالرِّفْقُ بِهِمْ، قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الْمُؤَهَّلُونَ لِأَنْ يَكُونُوا أَئِمَّةَ الْمُتَّقِينَ لَهُمْ صِفَاتٌ؛ مِنْهَا: الَّذِينَ يَمْشُونَ لِقَضَاءِ شُؤُونِ حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْأَرْضِ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَالرِّفْقِ وَالرَّوِيَّةِ، مُتَوَاضِعِينَ غَيْرَ بَطِرِينَ وَلَا مُتَكَبِّرِينَ، وَلَا يَكِدُّونَ لِمَطَالِبِ الدُّنْيَا بِسَعْيٍ يَسْتَهْلِكُ كُلَّ طَاقَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِهِمْ.

وَمِنْ صِفَاتِهِمْ: أَنَّهُمْ إِذَا خَاطَبَهُمُ السُّفَهَاءُ بِالشَّتَائِمِ وَالْأَلْفَاظِ الْقَبِيحَةِ مُسْتَثِيرِينَ غَضَبَهُمْ؛ قَالُوا لَهُمْ: سَلَامًا، وَفَارَقُوا مَجَالِسَ الْجَاهِلِينَ.(*).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[الفرقان: ٦٣].

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ بِالطُّرُقَاتِ**».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا.

فَقَالَ: «**فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ؛ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**».

قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «**غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

فَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذَا الْحَدِيثِ حَقَّ الطَّرِيقِ.

وَأَمَّا إِمَاطَةُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري: (١١/ ٨، رقم ٦٢٢٩)، ومسلم: (٣/ ١٦٧٥، رقم ٢١٢١).

(٢) أخرج البخاري: (٢/ ١٣٩، رقم ٦٥٢) ، ومسلم: (٤/ ٢٠٢١، رقم ١٩١٤) واللفظ له.

وفي رواية لهما: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ**»، ولمسلم: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهْرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَاللهِ لَأُنَحِّيَنَّ هَذَا عَنِ الْمُسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ**».

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَيَّدَ بِقَوْلِهِ: «**كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ**»؛ فَلَا يَذْهَبَنَّ أَحَدٌ إِلَىٰ شَجَرَةٍ لَهَا ظِلٌّ يَفِيءُ إِلَيْهِ النَّاسُ، ثُمَّ يَقُولُ: لَئِنْ قَطَعْتُ هَذِهِ فَلَأَتَحَصَّلَنَّ عَلَىٰ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ!! بَلْ إِنَّهُ يَكُونُ آثِمًا.(*).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٢). أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.(*/٢).

وَيَنْبَغِي التَّعَامُلُ بِرِفْقٍ مَعَ كِبَارِ السِّنِّ وَالضُّعَفَاءِ فِي الشَّوَارِعِ وَالْمُوَصِّلَاتِ الْعَامَّةِ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الْخَيْرَ فِي الرِّفقِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ؛ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ**»(٤). أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه، وَصَحَّحَهُ لِغَيْرِهِ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «آدَابُ الطَّرِيقِ وَالسُّوقِ وَالْعُطَاسِ وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ» - الْأَحَدُ ١٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٣-٧-٢٠١٤م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (رَقْم ٥٤)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «آدَابُ السَّلَامِ» - الْأَرْبِعَاءُ ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٥هـ| ١٦-٧-٢٠١٤م.

(٤) «الْأَدَبُ الْمُفْرَدُ» للبُخَارِيِّ (رَقْم ٤٦٤)، وأَخْرَجَه -أيضًا- ابْنُ مَاجَهْ (رَقْم ٢٠١٣)، من حَدِيث: أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، وَصَحَّحَهُ لغيره الْأَلْبَانِيُّ في «صَحِيحِ الأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (رَقْم ٣٦١)، وفي «صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ» (٣/ رَقْم ٢٦٦٧).

وَمَفْهُومُ ذَلِكَ: أَنَّ الشَّرَّ فِي الْعُنْفِ، وَهُوَ -فَضْلًا عَمَّا يَجُرُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمُخَالَفَاتِ الشَّرْعِيَّةِ- يُدَمِّرُ صِحَّةَ الْإِنْسَانِ، وَيُبَدِّدُ طَاقَةَ عَقْلِهِ وَبَدَنِهِ، وَيُشَوِّشُ عَلَيْهِ فِكْرَهُ، وَيَقْطَعُ مَوْصُولَ صِلَتِهِ بِالْخَلْقِ مِنْ حَوْلِهِ؛ وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ الشِّدَّةِ وَالْغِلْظَةِ، وَأَمَّا الرِّفْقُ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي مِنْهُ إِلَّا الْخَيْرُ.(*).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿**وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤].

«**وَالْإِحْسَانُ نَوْعَانِ:**

الْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ.

وَالْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ.

* **فَالْإِحْسَانُ فِي عِبَادَةِ الْخَالِقِ** فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ -كَمَا فِي «الصَّحِيحِ»(٢)-؛ فَقَالَ: «**أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُن تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**».

* **وَأَمَّا الْإِحْسَانُ إِلَىٰ الْمَخْلُوقِ:** فَهُوَ إِيصَالُ النَّفْعِ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ إِلَيْهِمْ، وَدَفْعُ الشَّرِّ الدِّينِيِّ وَالدُّنْيَوِيِّ عَنْهُمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ جَاهِلِهِمْ، وَوَعْظُ غَافِلِهِمْ، وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّتِهِمْ وَخَاصَّتِهِمْ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ كِتَابِ: «شَرْحُ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ -بَابٌ: الرِّفْقُ-» (ص٢٠٦٥-٢٠٦٧).

(٢) «**صحيح البخاري**»: ١/ ١١٤، رقم (٥٠) و٨/ ٥١٣، رقم (٤٧٧٧)، و«**صحيح مسلم**»: ١/ ٣٩، رقم (٩)، من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
والحديث في «صحيح مسلم»، من رواية ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بنحوه.

وَالسَّعْيُ فِي جَمْعِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِيصَالُ الصَّدَقَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْوَاجِبَةِ وَالْمُسْتَحَبَّةِ إِلَيْهِمْ، عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَحْوَالِهِمْ، وَتَبَايُنِ أَوْصَافِهِمْ، فَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: بَذْلُ النَّدَىٰ، وَكَفُّ الْأَذَىٰ، وَاحْتِمَالُ الْأَذَىٰ، كَمَا وَصَفَ اللهُ بِهِ الْمُتَّقِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ.

فَمَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ؛ فَقَدْ قَامَ بِحَقِّ اللهِ وَحَقِّ عِبَادِهِ»[1]. (*).

❀❀❀

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: ص١٤٨.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٣-٢٠١٧م.

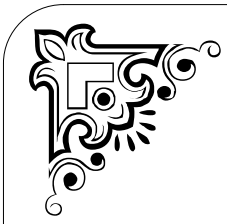

سَمَاحَةُ النَّفْسِ بِالْمَالِ

«**إِنَّ الْعَبْدَ بِحَسَبِ إِنْفَاقِهِ لِلْمَحْبُوبَاتِ يَكُونُ بِرُّهُ، وَأَنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ بِرِّهِ بِحَسَبِ مَا نَقَصَ مِنْ ذَلِكَ**»[1]، **وَإِنْفَاقُهُ أَمْوَالَهُ النَّفِيسَةَ الَّتِي تُحِبُّهَا نَفْسُهُ دَلِيلٌ عَلَى إِيمَانِهِ الصَّادِقِ، وَبِرِّ قَلْبِهِ، وَيَقِينِ تَقْوَاهُ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ** رضي الله عنه **قَالَ**: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ نَخْلًا، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾ [آل عمران: ٩٢]، **قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ**: «يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿**لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾، وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ؛ فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ!!».

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ** -أَيْ: أَنَّ أَجْرَهَا يَرُوحُ وَيَغْدُو عَلَيْكَ-، **وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَىٰ أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**».

فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: «أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ!!».

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص١٣٨).

فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ(١).

قَالَ ﷺ: «**وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»(٢). كَمَا فِي الْحَدِيثِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

فَالْغَنِيُّ يَضَعُ أَمْوَالَهُ فِي خِدْمَةِ الْمُجْتَمَعِ، وَسَدِّ الثَّغْرَاتِ الَّتِي تَظْهَرُ فِي بِنَائِهِ الِاقْتِصَادِيِّ بِسَبَبِ التَّفَاوُتِ فِي تَوْزِيعِ الثَّرْوَةِ، فَيُخْرِجُ زَكَاةَ أَمْوَالِهِ فَرِيضَةً مِنَ اللهِ، وَيُوَاسِي الْمُحْتَاجِينَ بِأَمْوَالِهِ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ لَيَفْرَحُونَ إِذَا كَثُرَتْ ثَرْوَتُهُ؛ إِذْ تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِالْخَيْرِ وَالْمُوَاسَاةِ.

كَانَ أَغْنِيَاءُ الصَّحَابَةِ يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ مُسْتَخْلَفُونَ عَلَىٰ الْمَالِ الَّذِي اكْتَسَبُوهُ، فَإِذَا وَجَدُوا ثُغْرَةً تَعْجِزُ الدَّوْلَةُ عَنْ سَدِّهَا، أَوْ لَا تَنْتَبِهُ لَهَا؛ بَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ فِي سَدِّهَا.

وَقَدْ ثَبَتَ فِي التَّارِيخِ أَنَّ عُثْمَانَ رضي الله عنه تَصَدَّقَ بِقَافِلَةٍ ضَخْمَةٍ، بِأَلْفِ بَعِيرٍ تَحْمِلُ الْبُرَّ وَالزَّيْتَ وَالزَّبِيبَ.. تَصَدَّقَ بِهَا جَمِيعِهَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ

---

(١) «متفق عليه».

أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٣٢٥، رقم ١٤٦١)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٦٩٣ - ٦٩٤، رقم ٩٩٨).

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٠٧٤، رقم ٢٦٩٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...**»، الحديث.

عِنْدَمَا حَلَّتِ الضَّائِقَةُ الِاقْتِصَادِيَّةُ بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهِ التُّجَّارُ خَمْسَةَ أَضْعَافِ ثَمَنِهَا رِبْحًا، فَقَالَ: «أُعْطِيتُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ!!».

فَقَالَ التُّجَّارُ: «مَنِ الَّذِي أَعْطَاكَ وَمَا سَبَقَنَا إِلَيْكَ أَحَدٌ، وَنَحْنُ تُجَّارُ الْمَدِينَةِ؟!!».

قَالَ: «إِنَّ اللهَ أَعْطَانِي عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا».

ثُمَّ قَسَّمَهَا بَيْنَ الْفُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ[(١)]!!

وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ فِي سِيَرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَلَفِنَا الصَّالِحِينَ؛ لِذَلِكَ لَمْ تَظْهَرِ الرُّوحُ الطَّبَقِيَّةُ، وَلَمْ يَحْدُثِ الصِّرَاعُ الطَّبَقِيُّ، وَلَمْ يَتَكَتَّلِ النَّاسُ وَفْقَ مَصَالِحِهِمْ الِاقْتِصَادِيَّةِ لِحَرْبِ مَنْ فَوْقَهُمْ أَوْ تَحْتَهُمْ.(*).

❀❀❀

(١) أخرجه الآجري في «**الشريعة**»: (٤/ ٢٠١٢-٢٠١٤، رقم ١٤٨٦)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:
«قَحَطَ الْمَطَرُ عَلَىٰ عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ، فَقَالُوا: السَّمَاءُ لَمْ تُمْطِرْ، وَالْأَرْضُ لَمْ تَنْبُتْ، وَالنَّاسُ فِي شِدَّةٍ شَدِيدَةٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: «انْصَرِفُوا وَاصْبِرُوا فَإِنَّكُمْ لَا تُمْسُونَ حَتَّىٰ يُفَرِّجَ اللهُ عز وجل عَنْكُمْ».
فَمَا لَبِثْنَا إِلَّا قَلِيلًا أَنْ جَاءَ أُجُرَاءُ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رضي الله عنه مِنَ الشَّامِ، فَجَاءَتْهُ مِائَةُ رَاحِلَةٍ طَعَامًا، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَىٰ بَابِ عُثْمَانَ رضي الله عنه،... وذكر الحديث.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَةِ: «السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ» (الْمُحَاضَرَةُ التَّاسِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: الْمُؤَاخَاةُ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»، الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٤٠هـ| ٣-١٠-٢٠١٨م.

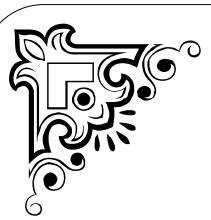
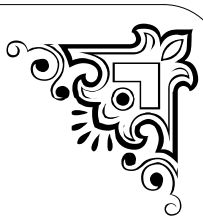

السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالِاقْتِضَاءِ

النَّبِيُّ ﷺ رَغَّبَ فِي السَّمَاحَةِ فِي البَيْعِ وَالشِّرَاءِ، وَحُسْنِ التَّقَاضِي وَالقَضَاءِ؛ فَعَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَىٰ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَىٰ**». رَوَاهُ البُخَارِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَاللَّفْظُ لَهُ(١). (*).

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ فِي شَرْحِهِ(٣): «فِيهِ: الْحَضُّ عَلَىٰ السَّمَاحَةِ فِي الْمُعَامَلَةِ، وَاسْتِعْمَالُ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ، وَتَرْكُ الْمُشَاحَّةِ، وَفِيهِ: الْحَضُّ عَلَىٰ تَرْكِ التَّضْيِيقِ عَلَىٰ النَّاسِ فِي الْمُطَالَبَةِ، وَفِيهِ: الْحَضُّ عَلَىٰ أَخْذِ الْعَفْوِ مِنْهُمْ». (*/٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**غَفَرَ اللهُ لِرَجُلٍ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ سَهْلًا إِذَا بَاعَ، سَهْلًا**

---

(١) أخرجه البخاري في (البيوع، ١٦، رقم ٢٠٧٦)، من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «خُطُورَةُ الِاحْتِكَارِ عَلَىٰ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ | ٣٠- ٩- ٢٠١٦م.

(٣) «**فتح الباري**»: (٤/ ٣٠٧).

(*/٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةِ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ | ١٤-٧-٢٠١٠م.

إِذَا اشْتَرَىٰ، سَهْلًا إِذَا اقْتَضَىٰ»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ هَيِّنًا لَيِّنًا قَرِيبًا؛ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**». رَوَاهُ الحَاكِمُ(٢)، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ لِغَيْرِهِ.(*).

وَقَدْ رَغَّبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي كُلِّ مَا يُحَقِّقُ السَّمَاحَةَ وَالْيُسْرَ، وَيُوَطِّدُ الْعَلَاقَاتِ الطَّيِّبَةَ بَيْنَ النَّاسِ؛ كَإِنْظَارِ الْمُوسِرِ، وَالْعَفْوِ عَنِ الْمُعْسِرِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ -كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٤)- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟**

---

(١) أخرجه البخاري: (٤/ ٣٠٦، رقم ٢٠٧٦)، والترمذي: (٣/ ٦٠١، رقم ١٣٢٠)، واللفظ له، من حديث: جابر رضي الله عنه.

ولفظ البخاري: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ».

(٢) «المستدرك»: (١/ ١٢٦، رقم ٤٣٥) ، وأخرجه أيضا هناد في «الزهد»: (٢/ ٥٩٦، رقم ١٢٦٢) ، والبيهقي في «الآداب»: (ص ٦٥ - ٦٦، رقم ١٦٠) ، وفي «شعب الإيمان»: (١٠/ ٤٤٣، رقم ٧٧٦٩ و ٧٧٧٠).

والحديث صححه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢/ ٣٢٧، رقم ١٧٤٥) ، وروي مرفوعا عن ابن مسعود وأنس ومُعَيْقِيبٍ رضي الله عنهم، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «خُطُورَةُ الِاحْتِكَارِ عَلَىٰ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ» - الْجُمُعَةُ ٢٨ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ | ٣٠- ٩- ٢٠١٦م.

(٤) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٤/ ٣٠٧، رقم ٢٠٧٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: =

قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ».

وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَهُمْ: «**أَنْظِرُوا الْمُوسِرَ، وَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ -هُوَ-: «**كُنْتُ أُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ**».

قَالَ: «**فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**».

قَالَ الْحَافِظُ رَحِمَهُ اللهُ(١): «فَإِذَا أَعْسَرَ الْمَدْيُونُ وَجَبَ إِنْظَارُهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ ضَرْبِهِ وَلَا إِلَىٰ حَبْسِهِ، وَقَدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَحْدِيدِ الْمُوسِرِ وَالْمُعْسِرِ، وَأَرْجَحُ ذَلِكَ أَنَّ هَذَا التَّحْدِيدَ إِنَّمَا يَعُودُ إِلَىٰ الْعُرْفِ، فَمَنْ كَانَ حَالُهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مِثْلِهِ يُعَدُّ يَسَارًا فَهُوَ مُوسِرٌ، وَعَكْسُهُ بِعَكْسِهِ».

فَهَذَا الَّذِي اعْتَمَدَهُ الْحَافِظُ فِي «الْفَتْحِ»، وَبِنَحْوِهِ قَالَ الشَّافِعِيُّ مِنْ قَبْلُ -رَحِمَ اللهُ عُلَمَاءَنَا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ أَجْمَعِينَ-.(*).

❀❀❀

=

(٣/ ١١٩٤-١١٩٥، رقم ١٥٦٠).

(١) «**فتح الباري**»: (٤/ ٣٠٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَةٍ: «مِنْ آدَابِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ» - الْأَرْبِعَاءُ ٢ مِنْ شَعْبَانَ ١٤٣١هـ | ١٤-٧-٢٠١٠م.

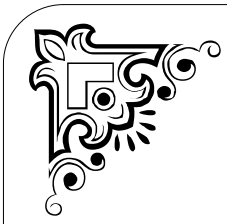

سَمَاحَةُ الْإِسْلَامِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ

إِنَّ سَمَاحَةَ الْإِسْلَامِ لَمْ تَقِفْ عِنْدَ حَدِّ تَعَامُلِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ، بَلْ هِيَ مَنْهَجُ حَيَاةٍ شَامِلٌ يَسَعُ النَّاسَ جَمِيعًا؛ فَقَدْ حَفِظَ الْإِسْلَامُ لِغَيْرِ الْمُسْلِمِينَ حُقُوقَهُمْ مَا دَامُوا لَمْ يُنَاصِبُوا الْمُسْلِمِينَ الْعِدَاءَ، وَلَمْ يَتَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَذَىٰ؛ فَهُمْ عَلَىٰ عَهْدِهِمْ وَذِمَّتِهِمْ، كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّوَعَلَا فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

وَقَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

بَلْ أَمَرَ رَبُّنَا جَلَّوَعَلَا بِحُسْنِ الْخُلُقِ مَعَ عُمُومِ النَّاسِ، فَقَالَ -عَزَّ مِنْ قَائِلٍ-: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم ١٩٨٧)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ ومُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ رقم ٢٦٥٥ و٣١٦٠)، والحديث روي -أيضًا- عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه.

«**وَخَالِقِ النَّاسَ** -أَيِ: النَّاسَ عُمُومًا- **بِخُلُقٍ حَسَنٍ**». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وَأَمَرَنَا رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا أَنْ نُحْسِنَ إِلَىٰ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، وَأَبَاحَ لَنَا أَنْ نَبَرَّ وَنَصِلَ مَنْ يَصِلُنَا مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «إِنَّ اللهَ -سُبْحَانَهُ- لَمَّا نَهَىٰ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ عَنِ اتِّخَاذِ الْمُسْلِمِينَ الْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ، وَقَطَعَ الْمَوَدَّةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ؛ تَوَهَّمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ بِرَّهُمْ وَالْإِحْسَانَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمَوَدَّةِ، فَبَيَّنَ اللهُ -سُبْحَانَهُ- أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ مِنَ الْمُوَالَاةِ الْمَنْهِيِّ عَنْهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْهَ عَنْ ذَلِكَ، بَلْ هُوَ مِنَ الْإِحْسَانِ الَّذِي يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَكَتَبَهُ -أَيِ: الْإِحْسَانَ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا الْمَنْهِيُّ عَنْهُ: تَوَلِّي الْكُفَّارِ، وَالْإِلْقَاءُ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ».

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»، وَالْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَأَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ(٢) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ: أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ، فَجَعَلَ

---

(١) «أحكام أهل الذمة»: (١/ ٦٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود: (٧/ ٤٦٢، رقم ٥١٥٢)، والترمذي: (٣/ ٣٩٧، رقم ١٩٤٣)، وأحمد: (٢/ ١٦٠، رقم ٦٤٩٦)، والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص٥٠، رقم ١٠٥).
وفي رواية للبخاري في «لأدب المفرد»: (ص٥٨، رقم ١٢٨): عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو -وَغُلَامُهُ يَسْلُخُ شَاةً- فَقَالَ: يَا غُلَامُ، إِذَا فَرَغْتَ فَابْدَأْ بِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: الْيَهُودِيُّ أَصْلَحَكَ اللهُ؟ قَالَ: «إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ =

يَقُولُ لِغُلَامِهِ: «أَهْدَيْتَ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتَ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو وَغُلَامُهُ يَسْلُخُ شَاةً، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ! إِذَا فَرَغْتَ فَابْدَأْ بِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ».

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: آلْيَهُودِيَّ أَصْلَحَكَ اللهُ؟!!

قَالَ: «إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُوصِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ خَشِينَا أَوْ رُؤِّينَا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». (*).

❀❀❀

=

يُوصِي بِالْجَارِ، حَتَّىٰ خَشِينَا أَوْ رُئِينَا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ».

والحديث صححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد»: (ص٦٦ و٧٢، رقم ٧٨ و٩٥)

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: السَّمَاحَةُ وَالتَّيْسِيرُ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤٠هـ|٢٨-٦-٢٠١٩م.

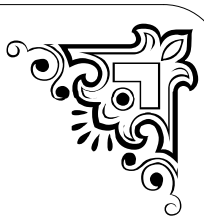

مِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ السَّمَاحَةِ:
السَّمَاحَةُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ

«**لَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ عُمُومًا، فَقَالَ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾** [البقرة: ٨٣]؛ **وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ: أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ**»(١).

فِي الْمِيثَاقِ الَّذِي أَخَذَ اللهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾** [البقرة: ٨٣].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: **﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾**؛ أَيْ: كَلِّمُوهُمْ طَيِّبًا، وَلِينُوا لَهُمْ جَانِبًا، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْمَعْرُوفِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: **﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾**.

فَالْحَسَنُ مِنَ الْقَوْلِ: يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَيَحْلُمُ وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَيَقُولُ لِلنَّاسِ حُسْنًا كَمَا قَالَ اللهُ، وَهُوَ كُلُّ خُلُقٍ حَسَنٍ رَضِيَهُ اللهُ».

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن»: (ص٥٧).

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**»: ١/ ٣١٧.

وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقَوْلَ الطَّيِّبَ الْحَسَنَ لَا يَذْهَبُ سُدًى، وَلَا يَضِيعُ بَدَدًا، بَلْ صَاحِبُهُ مَأْجُورٌ عَلَيْهِ، مُثَابٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(١).

وَالْقَوْلُ السَّدِيدُ مِمَّا حَضَّ الْقُرْآنُ عَلَىٰ الِالْتِزَامِ بِهِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا**﴾ [النساء: ٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «يَقُولُ -تَعَالَىٰ- آمِرًا عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَاهُ، وَأَنْ يَعْبُدُوهُ عِبَادَةَ مَنْ كَأَنَّهُ يَرَاهُ، وَأَنْ يَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا؛ أَيْ: مُسْتَقِيمًا لَا اعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا انْحِرَافَ.

وَوَعَدَهُمْ أَنَّهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؛ أَثَابَهُمْ عَلَيْهِ بِأَنْ يُصْلِحَ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ؛ أَيْ: يُوَفِّقَهُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَنْ يَغْفِرَ لَهُمُ الذُّنُوبَ الْمَاضِيَةَ، وَمَا قَدْ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ؛ يُلْهِمُهُمُ التَّوْبَةَ مِنْهَا.

قَالَ عِكْرِمَةُ: الْقَوْلُ السَّدِيدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٨٥ رقم (٢٨٩١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٦٩٩ رقم (١٠٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «**تفسير القرآن العظيم**»: ٦/ ٤٨٧-٤٨٨.

وَقَالَ غَيْرُهُ: السَّدِيدُ: الصِّدْقُ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ السَّدَادُ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ الصَّوَابُ.

وَالْكُلُّ حَقٌّ». (*).

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [الإسراء: ٥٣].

«وَهَذَا مِنْ لُطْفِهِ -تَعَالَىٰ- بِعِبَادِهِ؛ حَيْثُ أَمَرَهُمْ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الْمُوجِبَةِ لِلسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

فَقَالَ -جَلَّ مِنْ قَائِلٍ-: ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾؛ وَهَذَا أَمْرٌ بِكُلِّ كَلَامٍ يُقَرِّبُ إِلَىٰ اللهِ؛ مِنْ قِرَاءَةٍ، وَذِكْرٍ، وَعِلْمٍ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ، وَكَلَامٍ حَسَنٍ لَطِيفٍ مَعَ الْخَلْقِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ، وَأَنَّهُ إِذَا دَارَ الْأَمْرُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ حَسَنَيْنِ؛ فَإِنَّهُ يُؤْمَرُ بِإِيثَارِ أَحْسَنِهِمَا إِنْ لَمْ يُمْكِنِ الْجَمْعُ بَيْنَهُمَا.

وَالْقَوْلُ الْحَسَنُ دَاعٍ لِكُلِّ خُلُقٍ جَمِيلٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ؛ فَإِنَّ مَنْ مَلَكَ لِسَانَهُ مَلَكَ جَمِيعَ أَمْرِهِ»(٢). (*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٦-١٧) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٢) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٤٦٠.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مَا مَرَّ مُخْتَصَرٌ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «التَّسَامُحُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٨هـ| ١٠-٣-٢٠١٧م.

وَيَنْبَغِي الِابْتِعَادُ عَنْ كُلِّ لَغْوٍ وَزُورٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٣].

قَدْ فَازَ الْمُصَدِّقُونَ بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ، الْعَامِلُونَ بِشَرْعِهِ بِمَا يُرِيدُونَ -أَيْ: فَازُوا بِمَا يُرِيدُونَ-، وَظَفِرُوا بِنَعِيمِ الْآخِرَةِ الْأَبَدِيِّ، وَهُمُ الْمَوْصُوفُونَ بِالْأَوْصَافِ الْآتِيَةِ؛ وَذَكَرَ ﷻ مِنْهَا: الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ مُتَذَلِّلُونَ خَاضِعُونَ، جَمَعُوا بَيْنَ أَفْعَالِ الْقَلْبِ -كَالْخَوْفِ وَالرَّهْبَةِ- وَأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ؛ كَالسُّكُونِ وَتَرْكِ الِالْتِفَاتِ.

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ كُلِّ بَاطِلٍ وَمَا لَا يُعْتَدُّ بِهِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ مُعْرِضُونَ.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥].

ذَكَرَ اللهُ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقُرْآنِ وَبِمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِهِ يُؤْتَوْنَ ثَوَابَ عَمَلِهِمْ مَرَّتَيْنِ؛ عَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِالْكِتَابِ الْأَوَّلِ، وَعَلَىٰ إِيمَانِهِمْ بِالْكِتَابِ الْآخِرِ، بِسَبَبِ تَحَلِّيهِمْ بِأَرْبَعِ صِفَاتٍ؛ مِنْهَا: أَنَّهُمْ إِذَا سَمِعُوا الطَّعْنَ فِي الدِّينِ، وَالِاسْتِهْزَاءَ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَالْقَوْلَ الْقَبِيحَ مِنَ الْجَاهِلِينَ؛ أَعْرَضُوا عَنْهُ تَكَرُّمًا وَتَنَزُّهًا، وَقَالُوا لِأَصْحَابِ اللَّغْوِ: لَنَا أَعْمَالُنَا، وَنُحَاسَبُ عَلَيْهَا، وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَتُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا.

أَمَانٌ مِنَّا عَلَيْكُمْ، وَمُفَارَقَةٌ لَكُمْ وَلِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ لَغْوٍ تَعْصُونَ بِهِ رَبَّكُمْ، وَتَظْلِمُونَ بِهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» -[المؤمنون: ١-٣].

لَا نُرِيدُ مُشَارَكَةَ الْجَاهِلِينَ السُّفَهَاءِ فِي جَهْلِهِمْ وَسَفَهِهِمْ.(*).

لَقَدْ ضَرَبَ اللهُ ﷻ الْمَثَلَ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ لِلْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ؛ فَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ كَالشَّجَرَةِ الطَّيِّبَةِ، أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا، وَالْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ كَالشَّجَرَةِ الْخَبِيثَةِ، اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

قَالَ الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: وَهِيَ شَهَادَةُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَفُرُوعُهَا، ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾: وَهِيَ النَّخْلَةُ، ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾: فِي الْأَرْضِ، ﴿وَفَرْعُهَا﴾: مُنْتَشِرٌ ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: وَهِيَ كَثِيرَةُ النَّفْعِ دَائِمًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [القصص: ٥٥].

(٢) «تيسير الكريم الرحمن»: ص٤٢٥-٤٢٦.

﴿تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا﴾؛ أَيْ: ثَمَرَتَهَا، ﴿كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾: فَكَذَلِكَ شَجَرَةُ الْإِيمَانِ؛ أَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ عِلْمًا وَاعْتِقَادًا، وَفَرْعُهَا مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْأَخْلَاقِ الْمَرْضِيَّةِ وَالْآدَابِ الْحَسَنَةِ فِي السَّمَاءِ دَائِمًا، يَصْعَدُ إِلَىٰ اللهِ مِنْهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ الَّتِي تُخْرِجُهَا شَجَرَةُ الْإِيمَانِ مَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ.

﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: مَا أَمَرَهُمْ بِهِ وَنَهَاهُمْ عَنْهُ؛ فَإِنَّ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ تَقْرِيبًا لِلْمَعَانِي الْمَعْقُولَةِ مِنَ الْأَمْثَالِ الْمَحْسُوسَةِ، وَيَتَبَيَّنُ الْمَعْنَىٰ الَّذِي أَرَادَهُ اللهُ غَايَةَ الْبَيَانِ، وَيَتَّضِحُ غَايَةَ الْوُضُوحِ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَحُسْنِ تَعْلِيمِهِ، فَلِلهِ أَتَمُّ الْحَمْدِ وَأَكْمَلُهُ وَأَعَمُّهُ.

فَهَذِهِ صِفَةُ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، وَثَبَاتِهَا فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ.

ثُمَّ ذَكَرَ ضِدَّهَا، وَهِيَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَفُرُوعُهَا، فَقَالَ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾: الْمَأْكَلَ وَالْمَطْعَمَ، وَهِيَ شَجَرَةُ الْحَنْظَلِ وَنَحْوُهَا.

﴿ٱجْتُثَّتْ﴾: هَذِهِ الشَّجَرَةُ ﴿مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾؛ أَيْ: مِنْ ثُبُوتٍ، فَلَا عُرُوقَ تُمْسِكُهَا، وَلَا ثَمَرَةَ صَالِحَةً تُنْتِجُهَا، بَلْ إِنْ وُجِدَ فِيهَا ثَمَرَةٌ فَهِيَ ثَمَرَةٌ خَبِيثَةٌ، كَذَلِكَ كَلِمَةُ الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، لَيْسَ لَهَا ثُبُوتٌ نَافِعٌ فِي الْقَلْبِ، وَلَا تُثْمِرُ إِلَّا كُلَّ قَوْلٍ خَبِيثٍ وَعَمَلٍ خَبِيثٍ يَسْتَضِرُّ بِهِ صَاحِبُهُ وَلَا يَنْتَفِعُ، وَلَا يَصْعَدُ إِلَىٰ اللهِ مِنْهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَلَا يَنْفَعُ نَفْسَهُ، وَلَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُهُ.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾: يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ يُثَبِّتُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ؛ أَيِ: الَّذِينَ قَامُوا بِمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ التَّامِّ، الَّذِي يَسْتَلْزِمُ أَعْمَالَ الْجَوَارِحِ وَيُثْمِرُهَا:

فَيُثَبِّتُهُمُ اللهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ بِالْهِدَايَةِ إِلَىٰ الْيَقِينِ، وَعِنْدَ عُرُوضِ الشَّهَوَاتِ بِالْإِرَادَةِ الْجَازِمَةِ عَلَىٰ تَقْدِيمِ مَا يُحِبُّهُ اللهُ عَلَىٰ هَوَىٰ النَّفْسِ وَمُرَادِهَا.

وَفِي الْآخِرَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالثَّبَاتِ عَلَىٰ الدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَالْخَاتِمَةِ الْحَسَنَةِ.

وَفِي الْقَبْرِ عِنْدَ سُؤَالِ الْمَلَكَيْنِ لِلْجَوَابِ الصَّحِيحِ إِذَا قِيلَ لِلْمَيِّتِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ هَدَاهُمْ لِلْجَوَابِ الصَّحِيحِ بِأَنْ يَقُولَ الْمُؤْمِنُ: «اللهُ رَبِّي، وَالْإِسْلَامُ دِينِي، وَمُحَمَّدٌ نَبِيِّي».

﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: عَنِ الصَّوَابِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ، وَلَكِنَّهُمْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ».

وَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْرَ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَالْكَلِمَةِ الْخَبِيثَةِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا؛ يَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ**». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ(١).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٠٨، رقم (٦٤٧٨).

=

وَقَالَ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا؛ يَزِلُّ بِهَا إِلَىٰ النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ بَيَانٌ شَافٍ لِشَأْنِ الْكَلِمَةِ، وَأَيْنَ تَبْلُغُ بِصَاحِبِهَا مِنْ دَرَجَاتِ الرِّضْوَانِ فِي الْجِنَانِ إِنْ كَانَتْ طَيِّبَةً، وَكَيْفَ تَهْوِي بِقَائِلِهَا دَرَكَاتٍ فِي الشَّقَاءِ وَالنَّارِ إِنْ كَانَتْ غَيْرَ طَيِّبَةٍ.(*).

وَيَجِبُ الِابْتِعَادُ عَنْ كُلِّ أَلْوَانِ الْفُحْشِ فِي الْقَوْلِ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- يُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(٣). (*/٢).

=

وفي رواية له أيضا: ١١/ ٣٠٨، رقم (٦٤٧٧) ، ولمسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٢٩٠، رقم (٢٩٨٨) ، بلفظ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ**».

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٠٨، رقم (٦٤٧٧) ، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ٢٢٩٠، رقم (٢٩٨٨) ، وقد تقدم.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ٩-١١) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّد بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

(٣) أخرجه الترمذي: (٣/ ٤٣٠، رقم ٢٠٠٢)، من حديث: أبي الدرداء رضي الله عنه.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»: (٣/ ٧، رقم ٢٦٤١).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: قَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ» - الْجُمُعَةُ ٩ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٧هـ| ١٨-٣-٢٠١٦م.

فَالْفَاحِشُ الْبَذِيءُ مَبْغُوضٌ مِنَ اللهِ ﷻ؛ فَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ فَاحِشٍ مُتَفَحِّشٍ**». رَوَاهُ أَحْمَدُ(١)، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْجَامِعِ».

وَالْفَاحِشُ: ذُو الْفُحْشِ فِي كَلَامِهِ وَفِعَالِهِ.

وَالْمُتَفَحِّشُ: الَّذِي يَتَكَلَّفُ ذَلِكَ وَيَتَعَمَّدُهُ.(*).

لَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ الْقَوْلَ الطَّيِّبَ الْحَسَنَ لَا يَذْهَبُ سُدًى، وَلَا يَضِيعُ بَدَدًا، بَلْ صَاحِبُهُ مَأْجُورٌ عَلَيْهِ، مُثَابٌ عَلَىٰ قَوْلِهِ؛ فَفِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «**وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**»(٣). (*/٢).

❀❀❀

(١) أخرجه أحمد: (٥/ ٢٠٢، رقم ٢١٧٦٤) ، وابن حبان: (١٢/ ٥٠٦ - ٥٠٧، رقم ٥٦٩٤) ، والطبراني في «المعجم الكبير»: (١/ ١٦٥ - ١٦٦).
والحديث حسنه لغيره الألباني في «إرواء الغليل»: (٧/ ٢٠٩ - ٢١٠، رقم ٢١٣٣) ، وفي «صحيح الجامع»: (١/ ٣٧٨، رقم ١٨٥٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِاخْتِصَارٍ مِنْ كِتَابِ «حُسْنِ الْخُلُقِ». الطَّبْعَةُ الثَّالِثَةُ.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ٨٥، رقم (٢٨٩١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٢/ ٦٩٩، رقم (١٠٠٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «شَأْنُ الْكَلِمَةِ فِي الْإِسْلَامِ» (ص: ١٦-١٧) - لِلشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيد رَسْلَان -حَفِظَهُ اللهُ-.

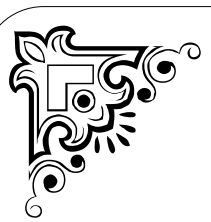

شَرِيعَةُ التَّيْسِيرِ وَالسَّمَاحَةِ وَالتَّبْشِيرِ

«فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١) عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**».

وَمَا أَجَلَّ هَذَا الْحَدِيثَ وَأَنْفَعَهُ وَأَجْمَعَهُ لِكُلِّ خَيْرٍ! وَهُوَ يَجْمَعُ جَمِيعَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تُنَشِّطُ الْعَامِلِينَ، وَتَبْعَثُ عَزَائِمَهُمْ عَلَىٰ الْخَيْرِ، وَذَلِكَ أَنَّ الدَّاعِيَ إِلَىٰ الْخَيْرِ لَا تَتِمُّ لَهُ الدَّعْوَةُ وَلَا تَحْصُلُ ثَمَرَاتُهَا الْمَطْلُوبَةُ مِنْهَا إِلَّا بِتَرْغِيبِ الْمَدْعُوِّينَ، وَتَذْكِيرِهِمْ بِالْأَسْبَابِ الْمُرَغِّبَةِ، وَإِبْعَادِ الْأَسْبَابِ الْمُثَبِّطَةِ حَسَبَ الْإِمْكَانِ، وَهِيَ كُلُّهَا مُجْتَمِعَةٌ فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ؛ فَإِنَّ التَّيْسِيرَ لِأَعْمَالِ الْخَيْرِ، وَتَهْوِينَهَا عَلَىٰ الْعَامِلِينَ، وَالِاقْتِنَاعَ بِمَا تَيَسَّرَ وَسَمَحَتْ بِهِ هِمَمُهُمْ وَعَزَائِمُهُمْ، وأَمْرَ كُلِّ عَبْدٍ وَدَعَوْتَهُ بِمَا يُنَاسِبُ حَالَهُ وَتَقْتَضِيهِ نَفْسُهُ وَطَبِيعَتُهُ؛ لَا رَيْبَ أَنَّ فِي ذَلِكَ مِنَ النَّفْعِ وَسُهُولَةِ الْإِجَابَةِ إِلَيْهِ مَا فِيهِ؛ خُصُوصًا إِذَا ضُمَّ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ: التَّبْشِيرُ بِخَيْرِهِ وَثَمَرَاتِهِ الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ، وَنَفْعِهِ اللَّازِمِ وَالْمُتَعَدِّي، فَسُلُوكُ طُرُقِ التَّيْسِيرِ وَالسُّهُولَةِ، وَتَبْشِيرُ الْعَامِلِينَ، وَتَرْغِيبُهُمْ لَا رَيْبَ فِي نَفْعِهِ.

---

(١) «صحيح البخاري»: (١٠/ ٥٢٤، رقم ٦١٢٥)، و«صحيح مسلم»: (٣/ ١٣٥٩، رقم ١٧٣٤).

وَأَمَّا سُلُوكُ الطَّرِيقِ الْمُضَادَّة لِهَذَا؛ مِنَ التَّعْسِيرِ، وَتَصْعِيبِ الْأُمُورِ عَلَىٰ النَّاسِ، وَعَدَمِ قَبُولِ مَا جَاءَ مِنْهُمْ حَتَّىٰ يَكْمُلَ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ؛ فَإِنَّهُ أَعْظَمُ مُنَفِّرٍ عَنِ الْخَيْرِ، وَأَعْظَمُ مُثَبِّطٍ وَمُكَسِّلٍ عَنِ الْخَيْرِ، وَالْوَاقِعُ وَالتَّجْرِبَةُ خَيْرُ شَاهِدٍ لِهَذَا.

أَلَا تَرَىٰ أَنَّ الصَّلَاةَ وَهِيَ أَعْظَمُ شَرَائِعِ الدِّينِ، وَهِيَ الْعَمَلُ الَّذِي يَشْتَرِكُ فِيهِ جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ؛ قَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا بِمَا يَكُونُ سَهْلًا؛ حَتَّىٰ عَلَىٰ الْعَاجِزِينَ؟! حَيْثُ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ فِيهِمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ وَالْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَقَالَ لِإِمَامٍ أَمَرَهُ بِإِحْكَامِ الصَّلَاةِ: «**وَاقْتَدِ بِأَضْعَفِهِمْ**». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ(٢).

وَقَالَ أَنَسٌ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣): «مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ١٩٩، رقم ٧٠٣)، ومسلم: (١/ ٣٤١-٣٤٢، رقم ٤٦٧)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أبو داود: (١/ ٣٩٨-٣٩٩، رقم ٥٣١)، والنسائي: (٢/ ٢٣، رقم ٦٧٢)، وابن ماجه: (٢/ ١٢٥، رقم ٩٨٧)، من حديث: عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ رضي الله عنه.
والحديث صحح إسناده الألباني في هامش «مشكاة المصابيح»: (١/ ٢١١، رقم ٦٦٨)، وأصله في صحيح مسلم: (١/ ٣٤١-٣٤٢، رقم ٤٦٨)، بلفظ: «أُمَّ قَوْمَكَ. فَمَنْ أَمَّ قَوْمًا فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْكَبِيرَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ، وَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ، وَإِنَّ فِيهِمْ ذَا الْحَاجَةِ، وَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ وَحْدَهُ، فَلْيُصَلِّ كَيْفَ شَاءَ»

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢٠١-٢٠٢، رقم ٧٠٦ و٧٠٧ و٧٠٨)، ومسلم: (١/ ٣٤٢، رقم ٤٦٩).

وَلَا أَتَمَّ صَلَاةً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ».

فَالتَّخْفِيفُ الَّذِي تَتِمُّ بِهِ الصَّلَاةُ، وَلَا يَحْصُلُ مِنْهُ إِخْلَالٌ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِهَا؛ لَا شَكَّ فِي نَفْعِهِ، وَتَرْغِيبِهِ لِلْمُصَلِّي وَلِمَنْ يُصَلِّي خَلْفَهُ وَيَقْتَدِي بِهِ.

وَكَانَ ﷺ يَتَخَوَّلُ أَصْحَابَهُ بِالْمَوْعِظَةِ؛ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْهِمْ(١).

وَقَالَ ﷺ مُنْكِرًا عَلَىٰ الْمُتَبَتِّلِينَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ اسْتِغْرَاقَ زَمَانِهِمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالْخُشُونَةِ: «**أَمَّا أَنَا فَأُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَآكُلُ اللَّحْمَ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَآتِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري: (١/ ١٦٢-١٦٣، رقم ٦٨ و٧٠)، ومسلم: (٤/ ٢١٧٢-٢١٧٣، رقم ٢٨٢١)، من حديث: ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري: (٩/ ١٠٤، رقم ٥٠٦٣) ، ومسلم: (٢/ ١٠٢٠، رقم ١٤٠١)، من حديث: أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري: (٤/ ٢١٠، رقم ١٩٦٨) و (١٠/ ٥٣٤، رقم ٦١٣٩) ، من حديث: أَبِي جُحَيْفَةَ وَهْب السُّوَائِيّ رضي الله عنه، بلفظ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ».
أما قوله: «...، وَلِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا،...»، فجزء من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَبْدَ اللهِ، أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ، وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟»، فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ=

وَلَمَّا بَالَ الْأَعْرَابِيُّ الْجَاهِلُ فِي الْمَسْجِدِ، وَانْتَهَرَهُ النَّاسُ؛ زَجَرَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَتَرَكَهُ حَتَّىٰ قَضَىٰ بَوْلَهُ، ثُمَّ دَعَاهُ وَعَلَّمَهُ بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ وَحُنُوٍّ، وَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا بُنِيَتْ لِلصَّلَاةِ، وَالْقِرَاءَةِ، وَالذِّكْرِ، وَالْعِبَادَةِ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

وَلَمَّا أَغْلَظَ لَهُ بَعْضُ الْأَعْرَابِ الْجَافِينَ بِالْقَوْلِ، وَهَمَّ الصَّحَابَةُ رضي الله عنهم بِهِ؛ قَالَ ﷺ: «**دَعُوهُ**»، ثُمَّ أَلَانَ لَهُ الْقَوْلَ، وَبَذَلَ لَهُ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، فَانْقَادَ إِلَىٰ الْحَقِّ، وَحَصَلَ الْمَقْصُودُ مِنْهُ.

وَهَكَذَا شَرِيعَتُهُ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ السُّهُولَةِ وَالْيُسْرِ فِي ذَاتِهَا، وَأَحْكَامِهَا، وَشَرَائِعِهَا، وَفِي دَعْوَتِهَا لِلْخَلْقِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ»(٢).

فَلَا تُفَرِّطْ وَلَا تُفْرِطْ وَكُنْ وَسَطًا وَمِثْلَ مَا أَمَرَ الرَّحْمَنُ فَاسْتَقِمِ

=

لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

أخرجه البخاري: (٤/ ٢١٨، رقم ١٩٧٥) ، ومسلم: (٢/ ٨١٣، رقم ١١٥٩).

وفي رواية لمسلم: (٢/ ٨١٤): «وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» ، بدل قوله: «وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا».

(١) أخرجه البخاري: (١/ ٣٢٢، رقم ٢١٩)، ومسلم: (١/ ٢٣٦، رقم ٢٨٥)، من حديث: أنس رضي الله عنه.

(٢) «الرياض الناضرة» ضمن مجموع مؤلفات السعدي: الفصل الثلاثون (٢٢/ ٢١٥-٢١٧).

سَدِّدْ وَقَارِبْ وَأَبْشِرْ وَاسْتَعِنْ بِغُدُوٍّ وَالــرَّوَاحِ وَأَدْلِــجْ قَاصِــدًا وَدُمِ
فَمِثْـلَ مَـا خَانَـتِ الْكَسْـلَانَ هِمَّتُـهُ فَطَالَمَا حُرِمَ الْمُنْبَتُّ بِالسَّأَمِ[1].(*).

(١) الأبيات للعلامة حافظ بن أحمد الحكمي (المتوفىٰ: ١٣٧٧) من خاتمة «المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية» ضمن مجموع رسائله ومنظوماته العلمية: (ص ٤٠٧)، من البيت رقم (٢٣٦) إلىٰ (٢٣٨).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِنْ مَظَاهِرِ الْعَظَمَةِ فِي الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: السَّمَاحَةُ وَالتَّيْسِيرُ» - الْجُمُعَةُ ٢٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤٠هـ|٢٨-٦-٢٠١٩م.

فَارِقٌ بَيْنَ السَّمَاحَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَبَيْنَ الْمَهَانَةِ

عِبَادَ اللهِ! فَارِقٌ كَبِيرٌ بَيْنَ التَّسَامُحِ النَّاشِئِ عَنْ قُوَّةٍ وَالِاسْتِجْدَاءِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ ضَعْفٍ، السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ.. نعم؛ إِنَّ الْحَقَّ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ يَتِيمٌ لَطِيمٌ، الْحَقُّ مِنْ غَيْرِ قُوَّةٍ يَتِيمٌ لَطِيمٌ.

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ=فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ(١). (*).

فَارِقٌ بَيْنَ التَّوَاضُعِ للهِ وَلِعِبَادِهِ وَالتَّسَامُحِ مَعَهُمْ وَبَيْنَ الْمَهَانَةِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَأُوحِيَ إِليَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣).

«**التَّوَاضُعُ المَحْمُودُ نَوْعَان:**

---

(١) البيت من البسيط لأبي تمام حَبِيْب بن أَوْسٍ الطَّائِيّ (المتوفي ٢٣١ هـ) من مطلع قصيدته التي مدح فيها المعتصم بعد فتح عمورية كما في «ديوانه» مع شرح التبريزي: (١/ ٣٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ بِتَصَرُّفٍ مِنْ خُطْبَةٍ: «بَغْدَادُ عَبَقُ التَّارِيخِ» - الْجُمُعَةُ ٢٦-٣-٢٠٠٣م.

(٣) أخرجه مسلم: (٤/ ٢١٩٧ - ٢١٩٨، رقم ٢٨٦٥)، من حديث: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه.

***الأَوَّلُ**: تَوَاضُعُ الْعَبْدِ عِنْدَ أَمْرِ اللهِ امْتِثَالًا، وَعِنْدَ نَهْيِهِ اجْتِنَابًا؛ فَإِنَّ النَّفْسَ لِطَلَبِ الرَّاحَةِ تَتَلَكَّأُ فِي أَمْرِهِ، فَيَبْدُو مِنْهَا إِبَاءٌ وَشِرَادٌ هَرَبًا مِنَ الْعُبُودِيَّةِ، وَتَثْبُتُ عِنْدَ نَهْيِهِ طَلَبًا لِلظَّفَرِ بِمَا مَنَعَ مِنْهُ، فَإِذَا تَوَاضَعَ العَبْدُ نَفْسُهُ لأَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ؛ فَقَدْ تَوَاضَعَ لِلْعُبُودِيَّةِ.

***والنَّوْعُ الثَّانِي**: تَوَاضُعُهُ لِعَظَمَةِ الرَّبِّ وَجَلَالِهِ، وَخُضُوعُهُ لِعِزَّتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ، فَكُلَّمَا شَمَخَتْ نَفْسُهُ ذَكَرَ عَظَمَةَ الرَّبِّ وَتَفَرُّدَهُ بِذَلِكَ، وَغَضَبَهُ الشَّدِيدَ علىٰ مَنْ نَازَعَهُ ذَلِكَ، فَتَوَاضَعَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَانْكَسَرَ لِعَظَمَةِ اللهِ قَلْبُهُ، وَاطْمَأَنَّ لِهَيْبَتِهِ، وَأَخْبَتَ لِسُلْطَانِهِ، فَهَذَا غَايَةُ التَّوَاضُعِ، وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ الْأَوَّلَ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ، وَالْمُتَوَاضِعُ حَقِيقَةً مَنْ رُزِقَ الْأَمْرَيْنِ»(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «الْفَرْقُ بَيْنَ التَّوَاضُعِ وَالْمَهَانَةِ: أَنَّ التَّوَاضُعَ يَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ الْعِلْمِ بِاللهِ -سُبْحَانَهُ-، وَمَعْرِفَةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنُعُوتِ جَلَالِهِ، وَتَعْظِيمِهِ وَمَحَبَّتِهِ وَإِجْلَالِهِ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ بِنَفْسِهِ وَتَفَاصِيلِهَا، وَعُيُوبِ عَمَلِهَا وَآفَاتِهَا، فَيَتَوَلَّدُ مِنْ بَيْنِ ذَلِكَ كُلِّهِ خُلُقٌ، هُوَ التَّوَاضُعُ، وَهُوَ انْكِسَارُ الْقَلْبِ للهِ، وَخَفْضُ جَنَاحِ الذُّلِّ وَالرَّحْمَةِ بِعِبَادِهِ، فَلَا يَرَىٰ لَهُ عَلَىٰ أَحَدٍ فَضْلًا، وَلَا يَرَىٰ لَهُ عِنْدَ أَحَدٍ حَقًّا، بَلْ يَرَىٰ الْفَضْلَ لِلنَّاسِ عَلَيْهِ، وَالحُقُوقَ لَهُمْ قِبَلَهُ، وَهَذَا خُلُقٌ إِنَّمَا يُعْطِيهِ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ يُحِبُّهُ وَيُكْرِمُهُ وَيُقَرِّبُهُ.

---

(١) «الروح»: (ص ٢٣٤).

(٢) «الروح»: (ص٢٣٣-٢٣٤).

وَأَمَّا الْمَهَانَةُ: فَهِيَ الدَّنَاءَةُ وَالْخِسَّةُ، وَبَذْلُ النَّفْسِ وَابْتِذَالُهَا فِي نَيْلِ حُظُوظِهَا وَشَهَوَاتِهَا؛ كَتَوَاضُعِ السُّفَّلِ فِي نَيْلِ شَهَوَاتِهِم، وَتَوَاضُعِ الْمَفْعُولِ بِهِ لِلْفَاعِلِ، وَتَوَاضُعِ طَالِبِ كُلِّ حَظٍّ لِمَنْ يَرْجُو نَيْلَ حَظِّهِ مِنْهُ، فَهَذَا كُلُّهُ ضَعَةٌ لَا تَوَاضُعَ، وَاللهُ -سُبْحَانَهُ- يُحِبُّ التَّوَاضُعَ، وَيُبْغِضُ الضَّعَةَ وَالْمَهَانَةَ».(*).

قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

خُذْ يَا رَسُولَ اللهِ وَيَا كُلَّ دَاعٍ إِلَىٰ سَبِيلِ اللهِ مِنْ أُمَّتِهِ الْعَفْوَ عَمَّنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وَلَا تَأْخُذِ التَّشَفِّيَ لِنَفْسِكَ بِالِانْتِقَامِ، وَمُعَاقَبَةِ الْمُسِيءِ عَلَىٰ إِسَاءَتِهِ، وَلْيَكُنْ هَمُّكَ أَنْ تَأْمُرَ بِالْعَطَاءِ، وَمُسَاعَدَةِ ذَوِي الْحَاجَاتِ، وَفِعْلِ الْخَيْرِ مَعَ كُلِّ النَّاسِ.

وَقَابِلِ الَّذِينَ يَجْهَلُونَ عَلَيْكَ وَيَتَسَافَهُونَ بِالسِّبَابِ وَالشَّتَائِمِ وَقَبَائِحِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ بَعْدَ الْعَفْوِ عَنْ إِسَاءَتِهِمْ إِذَا تَمَادَوْا فِي السَّفَاهَةِ بمجرد الْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ بِإِعْطَاءِ جَانِبِ وَجْهِكَ وَجِسْمِكَ دُونَ إِدَارَةِ الظَّهْرِ لَهُمْ أَوْ مُوَاجَهَتِهِمْ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَابِ: «فَضْلُ الْعِلْمِ» (ص: ٤٥٥- ٤٥٦).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأعراف: ١٩٩].

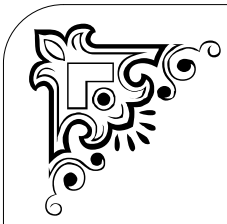

الِاصْطِفَافُ الْوَطَنِيُّ وَاجِبُ الْوَقْتِ

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! إِنَّ الْغَرْبَ وَحُلَفَاءَهُ فِي دَاخِلِ مِصْرَ وَخَارِجِهَا لَمْ يَنَامُوا عَنْكُمْ وَإِنْ نِمْتُمْ، وَلَمْ يَغْفُلُوا عَنْكُمْ وَقَدْ غَفَلْتُمْ، وَلَنْ يَكُفُّوا عَنْكُمْ حَتَّىٰ تَسْكُنُوا الْخِيَامَ، وَتَفْتَرِشُوا التُّرَابَ، وَتَلْتَحِفُوا السَّمَاءَ مُهَاجِرِينَ عَلَىٰ حُدُودِ بَلَدِكُمْ كَمَا صُنِعَ بِأَهْلِ سُورِيَّا وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ!!

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! إِنَّ الْمَصْلَحَةَ الْعُلْيَا تَفْرِضُ عَلَيْكُمُ الْآنَ أَنْ تَتْرُكُوا خِلَافَاتِكُمُ الصَّغِيرَةَ، وَتَرْتَفِعُوا فَوْقَ نِزَاعَاتِكُمُ الْقَلِيلَةِ، وَتَصْطَفُّوا خَلْفَ قِيَادَتِكُمُ الْبَصِيرَةِ.

وَلَا يُجَادِلُ إِلَّا مُكَابِرٌ فِي هَذِهِ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ: أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ فِي هَذَا الظَّرْفِ التَّارِيخِيِّ الْعَصِيبِ الَّذِي تَمُرُّ بِهِ مِصْرُ؛ لَنْ يَجِدُوا أَفْضَلَ وَلَا أَبْصَرَ وَلَا أَقْدَرَ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ، وَمُجَابَهَةِ الصِّعَابِ مِنْ قِيَادَتِهِمُ الَّتِي قَدَّرَ اللهُ أَنْ تَحْمِلَ الْأَمَانَةَ، وَتَطَّلِعَ بِأَعْبَائِهَا فِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ الَّتِي هِيَ أَدَقُّ وَأَخْطَرُ الْفَتَرَاتِ فِي تَارِيخِ مِصْرَ الْمُعَاصِرِ.

لَيْسَ يُطْلَبُ مِنْكُمْ -أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ- سِوَىٰ الثِّقَةِ فِي قِيَادَتِكُمْ، وَالْاصْطِفَافِ خَلْفَهَا صَفًّا وَاحِدًا مُتَمَاسِكًا، وَالْحِفَاظِ عَلَىٰ سَفِينَةِ الْوَطَنِ الَّتِي تَعْوِي حَوْلَهَا

الْعَوَاصِفُ، وَتَتَلَاطَمُ بِجَنَبَاتِهَا الْأَمْوَاجُ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْرِقَ السَّفِينَةَ لِيُغْرِقَ أَهْلَهَا، وَيْلٌ لَهُ، ثُمَّ وَيْلٌ لَهُ..

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! إِنَّ مَا عِنْدَ اللهِ لَا يُنَالُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ، وَمَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ؛ فَلْنَتُبْ إِلَىٰ اللهِ مِنْ ذُنُوبِنَا، وَلْنَسْتَقِمْ عَلَىٰ أَمْرِ رَبِّنَا، وَلْنَتَّبِعْ هَدْيَ نَبِيِّنَا، وَمِنْ هَدْيِهِ ﷺ: أَنْ نَحْتَرِمَ وُلَاةَ أُمُورِنَا، وَأَنْ نُمْسِكَ أَلْسِنَتَنَا عَنْهُمْ، وَأَنْ نَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ لَهُمْ، وَأَنْ نُطِيعَهُمْ فِي الْمَعْرُوفِ، وَأَلَّا نَخْرُجَ عَلَيْهِمْ.

اتَّقُوا اللهَ فِي دِينِكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ فِي بَلَدِكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ فِي مُسْتَقْبَلِ أَوْلَادِكُمْ وَحَفَدَتِكُمْ، وَلَا تُضَيِّعُوا الْمَوْجُودَ لِوَهْمِ تَحْصِيلِ الْمَفْقُودِ، وَلَا تَتَّبِعُوا السَّرَابَ الَّذِي يَقُودُ إِلَىٰ الْخَرَابِ، وَأَحْسِنُوا يُحْسِنِ اللهُ إِلَيْكُمْ.

أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ! تَحَمَّلُوا مَسْئُولِيَّتَكُمْ، وَأَدُّوا أَمَانَتَكُمْ، وَاصْبِرُوا وَصَابِرُوا، وَدَعُوا خِلَافَاتِكُمْ جَانِبًا، وَاجْعَلُوهَا تَحْتَ مَوَاطِئِ أَقْدَامِكُمْ، فَالْأَمْرُ جِدٌّ، وَالظَّرْفُ دَقِيقٌ، وَالْمَخَاطِرُ جَمَّةٌ، وَالطَّرِيقُ وَعْرٌ مَخُوفٌ، وَاللهُ يَرْعَاكُمْ، وَيُسَدِّدُ خُطَاكُمْ، وَيُسَلِّمُكُمْ وَيُسَلِّمُ بَلَدَكُمْ مِنْ كُلِّ سُوءٍ.

إِنَّ مِصْرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ هِيَ حَائِطُ الصَّدِّ لِلْإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَالتَّكْفِيرِ وَالْإِرْهَابِ وَالْعُنْفِ، وَوَرَاءَ مِصْرَ فِي هَذَا الْعَصْرِ -كَمَا كَانَ فِي عُصُورٍ خَلَتْ- أَقْطَارٌ وَدُوَلٌ إِسْلَامِيَّةٌ، جَعَلَ اللهُ ثَبَاتَهَا عَلَىٰ الدِّينِ، وَتَمَاسُكَ بُنْيَانِهَا، وَاسْتِقْرَارَ أَهْلِهَا؛ جَعَلَ اللهُ ذَلِكَ رَهْنًا بِثَبَاتِ مِصْرَ وَتَمَاسُكِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا.

اصْبِرُوا أَيُّهَا الْمِصْرِيُّونَ عَلَىٰ الْمُعَانَاةِ مَعَ حِفْظِ الْأَرْوَاحِ وَالْأَعْرَاضِ، فَهُوَ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ عَلَىٰ الْمُعَانَاةِ مَعَ ضَيَاعِهِمَا.

وَاللهُ يَتَوَلَّاكُمْ، وَيَجْمَعُ شَمْلَكُمْ، وَيُوَحِّدُ كَلِمَتَكُمْ عَلَىٰ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ وَالِاتِّبَاعِ، وَهُوَ تَعَالَىٰ الْهَادِي إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

اللهم احْفَظْ مِصْرَ قِيَادَةً وَشَعْبًا، وَجَيْشًا وَأَمْنًا، وَدِيَارًا وَأَرْضًا وَنَهْرًا، وَأَنْتَ الْحَفِيظُ الْعَزِيزُ.

اللهم احْفَظْ مِصْرَ وَجَمِيعَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفِتَنِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِ أَبْنَائِهَا، وَوَحِّدْ صَفَّهُمْ، وَسَدِّدْ وُلَاةَ أُمُورِهِمْ، وَوَفِّقْهُمْ لِمَا فِيهِ خَيْرُ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.

وَصَلَّىٰ اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «بَيَانٌ لِلْمِصْرِيِّينَ عَامَّةً وَلِلدُّعَاةِ خَاصَّةً» - السَّبْتُ ١ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٩هـ| ٢١-١٠-٢٠١٧م.

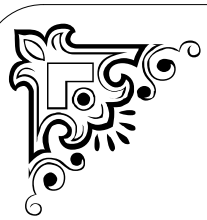

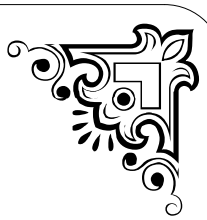

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ..... ٣

الْإِسْلَامُ دِينُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ..... ٤

النَّبِيُّ ﷺ الْأُسْوَةُ الْحَسَنَةُ فِي السَّمَاحَةِ..... ١٣

السَّمَاحَةُ فِي الْإِسْلَامِ مَنْهَجٌ وَحَيَاةٌ..... ١٧

السَّمَاحَةُ فِي دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..... ٢١

السَّمَاحَةُ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ..... ٢٤

السَّمَاحَةُ بَيْنَ الْجِيرَانِ..... ٣٤

السَّمَاحَةُ بَيْنَ الْإِخْوَةِ وَالْأَصْدِقَاءِ..... ٣٨

السَّمَاحَةُ فِي الطُّرُقِ وَالْمُوَصِّلَاتِ الْعَامَّةِ..... ٤٨

سَمَاحَةُ النَّفْسِ بِالْمَالِ..... ٥٣

السَّمَاحَةُ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ وَالِاقْتِضَاءِ..... ٥٦

سَمَاحَةُ الْإِسْلَامِ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ..... ٥٩

مِنْ أَعْظَمِ مَظَاهِرِ السَّمَاحَةِ: السَّمَاحَةُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ ٦٢

شَرِيعَةُ التَّيْسِيرِ وَالسَّمَاحَةِ وَالتَّبْشِيرِ ٧١

فَارِقٌ بَيْنَ السَّمَاحَةِ وَالتَّوَاضُعِ وَبَيْنَ الْمَهَانَةِ ٧٦

الِاصْطِفَافُ الْوَطَنِيُّ وَاجِبُ الْوَقْتِ ٧٩

الْفِهْرِسُ ٨٣